الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للعلوم الشرعية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ١٨٩ الجزء الأول السنة : ٥٢ رمضان ١٤٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

النسخة الورقية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٦ وتاريخ ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ

الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ١٦٥٨-٧٨٩٨

النسخة الإلكترونية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٨ وتاريخ ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ

الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ١٦٥٨-٧٩٠١

الموقع الإلكتروني للمجلة:

http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

Es.journalils@iu.edu.sa

(الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة)

هيئة التحرير

أ.د. أمين بن عائش المزيني
(رئيس التحرير)
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن جليدان الظفيري
أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

أ.د. حافظ بن محمد الحكمي
أستاذ علوم الحديث بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد سعد بن أحمد اليوبي
أستاذ أصول الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. أحمد بن محمد الرفاعي
أستاذ الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرحيم بن عبد الله الشنقيطي
أستاذ القراءات بالجامعة الإسلامية

أ.د. علي بن سليمان العبيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سابقاً)

أ.د. مبارك محمد أحمد رحمة
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة أم درمان الإسلامية

أ.د. محمد بن خالد عبد العزيز منصور
أستاذ الفقه وأصوله بالجامعة الأردنية وجامعة الكويت

***

سكرتير التحرير: **خالد بن سعد الغامدي**
قسم النشر: **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعد بن تركي الخثلان
عضو هيئة كبار العلماء (سابقًا)

سمو الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

معالي الأستاذ الدكتور يوسف بن محمد بن سعيد
نائب وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

أ.د. عياض بن نامي السلمي
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

أ.د. عبد الهادي بن عبد الله حميتو
أستاذ التعليم العالي في المغرب

أ.د. مساعد بن سليمان الطيار
أستاذ التفسير بجامعة الملك سعود

أ.د. غانم قدوري الحمد
الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت

أ.د. مبارك بن سيف الهاجري
عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت (سابقاً)

أ.د. زين العابدين بلا فريج
أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني

أ.د. فالح بن محمّد الصغير
أستاذ الحديث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. حمد بن عبد المحسن التويجري
أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة
أستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستلًّا من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:
  - صفحة عنوان البحث باللغة العربية
  - صفحة عنوان البحث باللغة الإنجليزية
  - مستخلص البحث باللغة العربيّة
  - مستخلص البحث باللغة الإنجليزيّة
  - مقدّمة
  - صلب البحث
  - خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات
  - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية
  - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
  - الملاحق اللازمة (إن وجدت).
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو) (Chicago).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة:
http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

محتويات العدد

م	البحث	رقم الصفحة
١)	كليات الوقف والابتداء من خلال كتاب "المكتفى في الوقف والابتدا" للإمام أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) – جمعٌ وصياغةٌ وتمثيلٌ. د. إبراهيم بن محمد السلطان	٩
٢)	استدراكات الشيخ أبي بكر الجزائري (ت:١٤٣٩هـ) في حاشيته "نهر الخير" على الإمامين القرطبي (ت:٦٧١هـ) وابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) – دراسة تحليلية. د. حَاتِم محمَّد منصُور مَزْرُوعَة	٥٥
٣)	منهج تفسير القرآن الكريم عند الإمام الألباني – دراسة استقرائية تحليلية نقدية. د. مجتبى بن محمود بن عقلة بني كنانة	١٦٧
٤)	مقارنة بين الجزء الأول من طبقات المفسرين للداوودي، وما يقابله من طبقات المفسرين للأدرنيّ زهرة بنت عبيد الله بن عويّد الغامدي	٣٦٣
٥)	تفسير النص القرآني بين التقريب والتحقيق وأثره في رفع النزاع بين المفسرين أ د. محمد بن سالم بن محمد البَيضاني الزَّهراني	٥١١
٦)	الحفظ والعناية الربانية في سورة الحجر د. عواطف أمين يوسف البساطي	٥٨١

استدراكات الشيخ أبي بكر الجزائري (ت :١٤٣٩هـ) في حاشيته "نهر الخير" على الإمامين القرطبي (ت :٦٧١هـ) وابن عاشور (ت :١٣٩٣هـ) - دراسة تحليلية -

The rectifications of sheikh Abubakr Al-Jazaaeri (d:1439AH) in his footnote "Nhr Al-khair" on both Imams Al-Qurtubi (d:671h) and Ibn-Ashour (d:1393AH) – an analytical study

إعداد:

د. حَاتِم محمَّد منصُور مَزْرُوعَة

الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن بقسم الدِّراسات الإسْلاميَّة

بكلية الآداب بجامعة المِلك فَيْصَل بالأحساء

المستخلص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه؛ وبعد:

فهذا بحث بعُنْوَان (استدراكات الشيخ أبي بكر الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمامين القرطبي وابن عاشور– دراسة تحليلية)، يقدِّم فيه الباحث دراسة تحليلية نقدية لاستدراكات الشيخ الجزائري على الإمامين، ويتكوَّن البحث من: تمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

تناول المبحث الأول استدراكات الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي، كما تناول المبحث الثاني استدراكات الشيخ الجزائري على الإمام ابن عاشور.

وفكرة هذا البحث تتمثَّل في استخراج الاستدراكات التي أوردها الشيخ الجزائري في حاشيته على الإمامين في تفسيريهما، مع دراسة هذه الاستدراكات وبيان مدى صحتها وواقعيتها.

وكان المنهج المستَخدَم في هذا البحث هو المنهج التحليلي؛ المصحوب بالاستقراء والموازنة.

وثمرة هذا البحث تظهر في نتائجه التي كان من أبرزها: اشتمال حاشية الشيخ أبي بكر الجزائري على كثير من الاستدراكات على عدد من أئمة التفسير وأعلامه، ونُدرَة الدراسات عن تفسير الشيخ الجزائري وحاشيته، وتنوُّع موضوعات الاستدراكات التي أوردها الشيخ الجزائري على الإمامين، حيث دارتْ بين تعيين المراد، وإيراد

الإسرائيليات، وبيان مرجع الضمائر، ومسائل في الاعتقاد، ومسائل في السيرة والتاريخ، والقول بصحة وواقعية أغلب الاستدراكات الواردة في هذا البحث، وانتفاء الصحة والواقعية في استدراكات الشيخ على الإمامين لم يحصل إلا في موضعين فقط، وعدم وجود مصطلح مُعيّن محدَّد يُعبِّر به الشيخ الجزائري عن استدراكاته؛ بل يعبِّر عن استدراكاته بطرق مختلفة.

كما تظهر ثمرة البحث في توصياته التي تحثُّ على تكثيف الدراسات والبحوث الأكاديمية في التفاسير المختصرة والميسرة، كما تشجِّع التوصيات المتخصصين والباحثين على دراسة تفسير الشيخ الجزائري وحاشيته دراسة تفصيلية تُعنَى بترجيحاته؛ واستدراكاته؛ وغير ذلك من حقول الدراسات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الاستدراكات، حاشية "نهر الخير"، الشيخ الجزائري، الإمام القرطبي، الإمام ابن عاشور.

وفيما يلي التفصيل والبيان، **والله المستعان؛ وعليه التُّكلان؛ ومنه الهداية والتوفيق؛ ولا حول ولا قوَّة إلا به.**

Abstract

Praise be to Allah and blessing and peace be upon our prophet Muhammad, his family and his companions.

This is a research titled" The rectifications of sheikh Abubakr Al-Jazaaeri in his footnote "Nahr Al-khair" on both Imams Al-Qurtubi and Ibn-Ashour – an analytical study" it focuses on the study of this corrections by an analytical and critical approach in a research consists of: a preface, two chapters and a conclusion.

The first chapter deals with Sheikh Al-Jazaaeri's rectifications on imam Al-Qurtubi, while the second chapter deals with Sheikh Al-Jazaaeri's rectifications on imam Ibn-Ashour.

The main concept of this study is to extract the rectifications which Sheikh Al-Jazaaeri have mentioned in his footnotes on the two Imams, with a study of this rectifications and showing its authenticity and reality. according to an analytical study mixed with an induction and comparison.

The most important results of this study included the following: this footnote included many rectifications related to a number of interpretation scholars, the rareness of the studies that deal with sheikh Aljazaeri's interpretation and his footnote, also the rectifications topics mentioned by Sheikh Al-Jazaaeri varies on both imams Al-Qurtubi and Ibn-Ashur, as it evolves in pointing out the meaning, mentioning the Israeli narrations, some belief issues, Sirat (the biography of the Prophet) and history, the sayings concerning the validity and reality of most of the rectifications mentioned in this research, the lack of validty and reality of Sheikh's rectifications on the two Imams does not occur except in two places, also the absence of a particular and definite term in Sheikh Aljazaeri's expressions in those rectifications, rather he expresses his rectifications in different ways.

Also, the benefits of the research appear in his

recommendations which encourages to increase the studies and academic researches in the precise and simple interpretations. As it also encourages the specialized and researchers to study in detail the interpretation of sheikh Aljazaeri and his footnotes which are concerned with his validations and rectifications, and other Quranic study fields.

Key Words:

The rectifications, Nahr Al-khair footnote, sheikh Aljazaeri, Imam Al-Qurtubi, Imam Ibn-Ashour.

المقدمة

الحمد لله، أحمده حمْد مَن لا ربَّ له سواه، وأشكره على جزيل فضله وعطاياه، وأشهد أن الحلال ما أحلَّه؛ وأن الحرام ما حرَّمه؛ وأن الدين ما شرعه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم– عبده ورسوله.

وبعد؛ فلا يخفى ما لاقاه تفسير الشيخ أبي بكر الجزائري "أيسر التفاسير" من قبول وانتشار في عموم أوساط المسلمين، وقد شجَّع هذا القبول الشيخَ –رحمه الله– على كتابة حاشيته "نهر الخير" على تفسيره المبارك "أيسر التفاسير" ليُضَمِّنها ما يحتاج إليه طلاب العلم والمعرفة من بيان دليل؛ أو تصويب خطأ؛ أو إضافة فوائد وأحكام.

ومن خلال قراءة الباحث لهذه الحاشية كاملةً ظهر له أنها تشتمل على كثير من الاستدراكات للشيخ الجزائري –رحمه الله– على عدد من أئمة التفسير وأعلامه، من أبرزهم: الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور –رحمهما الله–.

لذا؛ فقد قَصَدْتُ في هذا البحث أنْ أُسلِّط الضوْء على هذه الاستدراكات التي أوردها الشيخ أبو بكر الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور، **وذلك من خلال قراءة واستعراض التفسير المطبوع وحاشيته بشكل كامل**، وتحديد المواضع التي كان فيها استدراك من الشيخ الجزائري على كلام الإمامين في تفسيريهما، ودراسة كلام الشيخ الجزائري وكلام كل واحد من الإمامين

في كل موضع من مواضع الاستدراكات، **مع الحرص على تحليل النقولات والنصوص والموازنة بينها**؛ للوصول إلى بيان مدى صحة هذه الاستدراكات وواقعيتها.

موضوع البحث

يأتي موضوع هذا البحث تحت عنوان: استدراكات الشيخ أبي بكر الجزائري (ت:١٤٣٩هـ) في حاشيته "نهر الخير" على الإمامين القرطبي (ت:٦٧١هـ) وابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) – دراسة تحليلية.

مشكلة البحث

المشكلة التي يحاول هذا البحث أن يسلِّط الضوء عليها هي استخراج الاستدراكات التي أوردها الشيخ أبو بكر الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور، ثم دراسة هذه الاستدراكات للوصول إلى درجة صحتها وواقعيتها.

أسئلة البحث

السؤال الرئيس الذي يقوم عليه هذا البحث هو: ما هي الاستدراكات التي أوردها الشيخ أبو بكر الجزائري في حاشيته "نهر الخير على أيسر التفاسير" على الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور في تفسيريهما؟، وما مدى صحة وواقعية هذه الاستدراكات؟

ويتفرَّع عن هذا السؤال الرئيس أسئلة فرعية كثيرة؛ منها:

*ما مدى صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في بيان المراد بـ (الرب) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾؟

*ما مدى صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في إيراده الإسرائيليات في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾؟

*ما مدى صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في تأويله صفة (القَدَم) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾؟

*ما مدى صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام ابن عاشور في تعيين القائل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾؟

*ما مدى صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام ابن عاشور في ورود المؤمنين جهنم في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟

حدود البحث

حدود هذا البحث هي الاستدراكات التي أوردها الشيخ أبو بكر الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، وعلى الإمام ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير".

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق عدد من المقاصد؛ من أبرزها ما يلي:

أولًا: تسليط الضوء على أهمية دراسة استدراكات المفسرين على بعضهم.

ثانيًا: استخراج الاستدراكات التي أوردها الشيخ أبو بكر الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، وعلى الإمام ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير".

ثالثًا: بيان مدى صحة وواقعية استدراكات الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور.

أهمية البحث

تظهر أهمية هذا البحث في عدد من الأمور؛ من أهمِّها ما يلي:

أولًا: إبراز الحاجة إلى تكثيف الدراسات في التفاسير المختصرة التي تُعنَى بتيسير وتقريب هدايات القرآن الكريم لعموم المسلمين.

ثانيًا: التدليل على خطأ الاتجاه الذي يُصنِّف التفاسير المختصرة الميسَّرة على أنها تفاسير عامة إجمالية؛ لا تشتمل على ما يمكن دراسته دراسة تخصصية أكاديمية.

ثالثًا: تقرير أنه ليس بالضرورة أن يكون كل كلام للمستَدرِك صوابًا، كما أنه ليس بالضرورة أن يكون كلُ كلامِ المستدرَك عليه خطأً، ولا يظهر ذلك إلا بالتحليل والنَّقد والموازَنة[1].

الدراسات السابقة –إنْ وُجِدَتْ–

لم يجد الباحث –حسْب اطلاعه– أيَّ دراسة سابقة تتناول استدراكات الشيخ الجزائري في حاشيته "نهر الخير" بالدراسة

(١) يشير الباحث إلى أن الذي ينبغي أن يُستَعْمَل في إظهار مواطن التشابه والاختلاف؛ وبيان المزايا والفروق؛ والمقابلة والترجيح هو مصطلح "الموازنة" وليس "المقارنة" –خلافًا للشائع والمتداول بين الناس–، لأنَّ الأصل اللغوي لـ (قَرَنَ) لا يدل إلا على مجرد اقتران شيء بشيء ومصاحبته له، أما الموازنة: فهي الترجيح، ووَزَنَ الشيء: أي رَجَحَ، ولهذا؛ لما أراد أبو القاسم الآمدي المفاضلة والترجيح بين شِعْرَيْ أبي تمام والبحتري جعل عنوان كتابه هو "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري". يُنظَر: محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب". (ط٤، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ)، ١٣: ٤٤٨ – ١٣: ٣٣٦؛ ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد الأول، رجب١٣٥٣ هـ– أكتوبر ١٩٣٤م، ص:١٥٠؛ وبكر بن عبد الله أبو زيد، "معجم المناهي اللفظية"، ص:٤٠٧.

والبحث والتحليل؛ سواء كانت دراسة عن استدراكات الشيخ الجزائري في حاشيته على المفسرين عمومًا، أو استدراكاته في حاشيته على الإمامين القرطبي وابن عاشور على وجه الخصوص.

منهج البحث

يظهر في هذا البحث استخدام عدة مناهج بحثية؛ تبعًا لموضوع البحث.

والمناهج المستَخدَمة في هذا البحث هي: المنهج التحليلي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج الموازِن.

خُطَّة البحث

يتكوَّن البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وتفصيل ذلك كما يلي:

التمهيد؛ ويشتمل على ما يلي:

أولًا: تعريف الاستدراكات لغة؛ واصطلاحًا؛ وعند المفسرين.

ثانيًا: نبذة عن الشيخ أبي بكر الجزائري، وعن حاشيته "نهر الخير على أيسر التفاسير".

ثالثًا: نبذة عن الإمام القرطبي، وعن تفسيره "الجامع لأحكام القرآن".

رابعًا: نبذة عن الإمام ابن عاشور، وعن تفسيره "التحرير والتنوير".

خامسًا: بيان المقصود بالدراسة التحليلية.

المبحث الأول: استدراكات الشيخ الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمام القرطبي، وفيه ثمانية مطالب؛ تتمثَّل فيما يلي:

المطلب الأول: بيان المراد بـ (الرب) في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾[1].

المطلب الثاني: بيان المراد في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

المطلب الثالث: إيراد الإسرائيليات في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾.

---

(١) ترتيب المطالب في كل مبحث من مباحث هذا البحث تمَّ حسب ترتيب الآيات الواردة –في مواضع الاستدراكات– في القرآن الكريم، وقد اختار الباحث أن تكون عناوين المطالب بما يدل على موضوع الاستدراك وآيته وليس بالعناوين العامة مثل: الاستدراكات في إيراد الإسرائيليات– الاستدراك في مسائل الاعتقاد ...وهكذا؛ وذلك لعدم مناسبة عنونة المطالب بذلك بسبب أن العنونة بهذه العناوين (الاستدراكات على الإسرائيليات، مسائل الاعتقاد، السيرة والتاريخ،.....) تحتاج أن يوجد تحت كل عنوان من هذه العناوين موضعان على الأقل يندرجان تحت هذا العنوان، والواقع أن بعض هذه العناوين العامة لا يدخل تحته من مواضع الاستدراكات إلا موضع واحد فقط –كالاستدراكات على مسائل السيرة والتاريخ مثلًا–، لذا صارت عنونة المطالب على النحو المذكور.

المطلب الرابع: إيراد الإسرائيليات في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾.

المطلب الخامس: تحديد مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

المطلب السادس: تأويل صفة (القَدَم) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ ﴾.

المطلب السابع: تأويل صفة (المعيَّة) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾.

المطلب الثامن: حال أَخَوَيْ أم كلثوم بنت عقبة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾.

المبحث الثاني: استدراكات الشيخ الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمام ابن عاشور، وفيه أربعة مطالب؛ تتمثَّل فيما يلي:

المطلب الأول: تعيين القائل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾.

المطلب الثاني: تحديد نهاية الحجاج مع أهل الكتاب في سورة البقرة.

المطلب الثالث: ورود المؤمنين جهنم في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾.

المطلب الرابع: تعيين طريقة خطاب الله لإبليس في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾.

الخاتمة؛ وتشتمل على ما يلي:

أولًا: أهمُّ نتَائج البحث.

ثانيًا: أبرز التوصيات (المقْتَرحَات).

واللهَ أسألُ أنْ ينفعَ بهذا البحث عموم المسلمين؛

إليكَ؛ وإلَّا لا تُشدُّ الرِّكائِبُ

ومنكَ؛ وإلَّا فالمؤمِّل خَائبُ

اللهمَّ اجعل عملي كله صالحًا...

واجعله لوجهك خالصًا...

ولا تجعل فيه لأحدٍ غيرك شيئًا...

التَّمْهِيد

يَعرِض الباحث في هذا التمهيد بيانًا للمصطلحات والأعلام المذكورين في عنوان البحث، ويبيّن المعنى العام لعنوان البحث، وفيما يلي تفصيل ذلك –بحوْل الله وقوته–.

اشتمل عنوان البحث على الأعلام والمصطلحات التالية: الاستدراكات، الشيخ أبو بكر الجزائري وحاشيته "نهر الخير"، الإمام القرطبي، الإمام ابن عاشور، الدراسة التحليلية، وفيما يلي تفصيل ذلك.

أولًا: تعريف الاستدراكات:

الاستدراكات: جمعٌ، مفردها: استدراك، فما هو تعريف الاستدراك؟ وما هو معناه عند المفسرين؟

الاستدراك لغة: استفعالٌ من (درك)، والدَّرك: يأتي بمعنى اللحاق بالشيء؛ والوصول إليه؛ وبلوغه.

يقال: استدرك الشيء بالشيء؛ أي: حاول إدراكه به، واستدرك النجاة بالفرار: أي حاول إدراكها به، وأدرك الشّيء: إذا بلغ وقته، واستدركت ما فات وتداركته بمعنى واحد[(١)].

(١) يُنظَر: إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٤: ١٥٨٢؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ٤: ٣٣٤

وللاستدراك في اللّغة استعمالان:

الأوّل: أن يستدرك الشّيء بالشّيء؛ إذا حاول اللّحاق به.

الثّاني: في مثل قولهم "استدرك الرّأي والأمر"؛ إذا تلافى ما وقع فيه من الخطأ أو النّقص[(١)].

الاستدراك اصطلاحًا: يُراد به إصلاح ما وقع في القول أو العمل من خلل أو قصور أو فوات، ومن ذلك قولهم: القضاء استدراك ما فات ويقوم مقام الأداء[(٢)].

ومنه عند الفقهاء: استدراك نقص الصّلاة بسجود السّهو، واستدراك الصّلاة إذا بطلتْ بإعادتها، واستدراك الصّلاة المنسيّة بقضائها، والاستدراك بإبطال خطأ القول وإثبات صوابه[(٣)].

– ٣٣٥؛ ومحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م)، ٣: ٤٣٨.

(١) يُنظَر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، "الموسوعة الفقهية الكويتية". (ط٢، الكويت: دار السلاسل، ١٤٢٧هـ)، ١١: ٣١١.

(٢) يُنظَر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، "الموسوعة الفقهية الكويتية"، ١١: ٣١١– ٣١٣.

(٣) يُنظَر: محمد بن أحمد السرخسي، "المبسوط". (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)، ٥: ٥١؛ ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، "الموسوعة الفقهية الكويتية"، ١١: ٣١١– ٣١٣.

الاستدراك عند المفسرين: اتباع المفسر قولا يذكره في بيان معنى في القرآن بقول آخر؛ يصلح خطأه، أو يكمل نقصه[١].

وورد في تعريفه –أيضًا– أنه: "تعقُّب مفسر متأخر مفسرًا متقدمًا في بعض آرائه المتعلقة بالتفسير، ويتبع ذلك التعقيب غالبًا– بالتصحيح وترجيح ما يراه المتأخر"[٢].

وبذا يظهر للباحث أن التعريفات اللغوية والاصطلاحية تتفق على أن من أبرز معاني واستعمالات مصطلح "الاستدراك" ما يلي:

أ–التنبيه على الخطأ.

ب–إكمال النّقص وبيان القصور ورفعه بالتكميل والإتمام.

وعلى ضوء هذين الاستعمالين ومن خلال هذين المعنيين لكلمة "الاستدراك" ستسير الدراسة في هذا البحث –بمشيئة الله–.

(١) يُنظَر: نايف بن سعيد الزهراني، "استدراكات السلف في التفسير خلال القرون الثلاثة الأولى" دراسة نقدية مقارنة. (ط١، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٣٠)، ص: ٣٤.

(٢) أحمد بن محمد قاسم مذكور، "استدراكات ابن عاشور على الرازي والبيضاوي وأبي حيان في تفسيره التحرير والتنوير– دراسة نظرية تطبيقية". رسالة دكتوراه. (السعودية: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م)، ص: ٧٢.

ثانيًا: نبذة عن الشيخ أبي بكر الجزائري، وعن حاشيته "نهر الخير":

أ–نبذة عن الشيخ أبي بكر الجزائري –رحمه الله–:

هو جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ولد بقرية (لِيوَه)، وهي قرية زراعية من قرى مدينة "بسكرة" عروس الجنوب الجزائري، وكان مولده عام ١٣٤٢هـ، وكانت عائلته حفاظ قريته للقرآن الكريم، وانتقل الشيخ بعد ذلك إلى العاصمة (الجزائر) وعمل في جمعية العلماء آنذاك، والتي كانت النواة الجيدة في غرس العقيدة السلفية ومحاربة البدع.

ثم انتقل الشيخ إلى المملكة العربية السعودية، وحصل عام ١٣٧٤هـ على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي الشريف، فأصبحت له حلقة يدرس فيها تفسير القرآن الكريم، وغير ذلك من العلوم الشرعية، وكان من أبرز أعمال الشيخ –رحمه الله– عمله مدرسًا بالجامعة الإسلامية، ومدرسًا وواعظًا بالمسجد النبوي الشريف، وكان من الداعين إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامي، وأحيل إلى التقاعد عام ١٤٠٦هـ.

وامتاز الشيخ –رحمه الله– بالرفق واللين وكان سريع الدمعة، ورأى النبي –صلى الله عليه وسلم– في منامه مرارًا.

ألَّف الشيخ –رحمه الله– العديد من المؤلفات التي تميزت بسهولة الأسلوب، وهي مؤلفات علمية وإصلاحية ودعوية لتقريب دعوة الإسلام ورسالته، ومن أبرز هذه المؤلفات: منهاج المسلم، عقيدة

المؤمن، أيسر التفاسير، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، هذا الحبيب يا محب.

توفي –رحمه الله– في المدينة المنورة يوم الأربعاء ٤ من ذي الحجة ١٤٣٩هـ، عن عمر ناهز ٩٧ عامًا، وصُليتْ عليه صلاة الجنازة في المسجد النبوي الشريف، ودُفِن في مقبرة البقيع(١).

ب–نبذة عن حاشية "نهر الخير":

أما عن حاشيته "نهر الخير على أيسر التفاسير" فقد صرَّح الشيخ باسمها، والسبب الداعي لتأليفها وبيان مشتملاتها؛ عندما قال في مقدمة تفسيره المطبوع: "إنه نظرًا إلى حاجة طلبة العلم إلى المزيد من المعرفة وضعتُ هذه الحاشية التي هي أشبَهُ بتعليق على (أيسر التفاسير) وأسميتها (نهر الخير)، أودعتُ فيها مع مراعاة الاختصار بعض ما يرغب طالب العلم في معرفته والحصول عليه من **شاهد لغة، أو بيان، أو أثر جميل، أو مستند حديث جليل، أو كشف عن وجه لآية ذات وجوه، أو الوقوف على سر من أسرار القرآن أو عجيبة من عجائب القرآن**، التي لا تنقضي بمرور الزمان، ولا تنتهي بتعاقب الملوان، **وأهم من ذلك تصويب رأي، أو تصحيح خطأ وقعا في التفسير، مع إزالة إبهام، أو إضافة بعض**

(١) يُنظَر: د. محمد بن رزق بن طرهوني، "التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا"، ص: ٢٠١– ٢٠٣، والموقع الرسمي لفضيلة الشيخ الجزائري على شبكة المعلومات، الرابط: http://algzaeri.com/algzaeri/pageother.php

الأحكام".[1]

وقد ظهر للباحث أن المدة التي استغرقها الشيخ –رحمه الله– في كتابة هذه الحاشية بلغتْ حوالي ثمانية أشهر وعدَّة أيام، حيث قال الشيخ في خاتمة الطبعة الثالثة ما نصُّه: "ففي الروضة الشريفة من المسجد النبوي الشريف، وبين العشائين من ليلة السبت الموافق لعيد الفطر المبارك من عام ١٤٠٩ من الهجرة النبوية كتبت هذه الكلمة الخاتمة (لنهر الخير) على أيسر التفاسير، فكانت إحدى النعم التي والاها الله ذو الفضل والإنعام على أضعف عباده وأقلهم شأناً، وأدناهم فضلاً، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وهو ذو الفضل العظيم.

لقد ابتدأت كتابة هذه الحاشية المباركة إن شاء الله تعالى في أواخر محرم الحرام وأنا بين خوف ورجاء: خوف من موافاة الأجل قبل إتمام العمل، إذ كثيرون ما أتموا ما بدأوا ولا أدركوا ما أملوا أذكر منهم الشيخين الجليلين: محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، فقد بدءا تفسيرهما فتركه الأول في سورة النساء وتركه الثاني في سورة يوسف عليه السلام وأجابا نداء ربهما وتركا تفسيرهما لم يتماه ولم يكملاه لأمر أراده الله، فأعظم الله أجرهما وأحسن عزاءنا فيهما ونفعنا بتفسيرهما وقد فعل فله الحمد وله المنة فقد قرأت وطالعت (المنار) أكثر من أربع مرات، وكنت إذا وصلت إلى

(١) جابر بن موسى الجزائري، "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير)". (ط٥، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، مقدمة الطبعة الثالثة، ١: ٨.

موضع انتهاء ما كان الشيخ رشيد يتلقاه عن شيخه ويقول إلى هنا انتهى ما كنت أتلقاه من الشيخ، يغلبني البكاء فأبكي وأرى أن رزية ما فوقها رزية في موت الشيخين قبل إتمام تفسيرهما، واستجاب الله لي ووقاني كل ما يعوقني أو يعوقني عن إتمام **هذه الحاشية التي أراها ضرورية لأيسر التفاسير**"[(١)].

ثالثًا: نبذة عن الإمام القرطبي، وعن تفسيره "الجامع لأحكام القرآن":

أ–نبذة عن الإمام القرطبي:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسِّر، ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري (ما بين ٦٠٠ – ٦١٠هـ)، وعاش بها، ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بِمُنْيَة بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: المنيا، وبقي فيها حتى تُوفِّي، وعاش مأساة الأندلس، فقد بقي بقرطبة حتى سقوطها، وخرج منها نحو عام ٦٣٣هـ، فرحل إلى المشرق طلبًا للعلم من مصادره، فانتقل إلى مصر التي كانت محطًّا لكثير من علماء المسلمين على اختلاف أقطارهم، فدرس على أيدي علمائها، واستقرَّ بها[(٢)].

(١) الجزائري، "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير)"، خاتمة الطبعة الثالثة، ٥: ٦٣٥.

(٢) يُنظَر: محمد بن علي الداودي، "طبقات المفسرين". (بيروت: دار الكتب العلمية)،

كرَّس حياته للعلم والمطالعة والتأليف، دون أن يُؤثَر عنه ملل أو سَأَم، لذا وصفه مترجموه بقولهم: "أوقاته معمورة ما بين توجُّه وعبادة وتصنيف"[(١)].

وقال عنه الإمام الذهبي: "إمام متفنن متبحر في العلم"[(٢)].

له مؤلفات عظيمة جليلة؛ من أبرزها: تفسيره العظيم (الجامع لأحكام القرآن)، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام.

وكانت وفاته في (مُنْيَة الخصيب) بصعيد مصر، عام ٦٧١هـ، وقبره بالمنيا شرق النيل[(٣)].

٢: ٦٥– ٦٦؛ وخليل بن أيبك الصفدي، "الوافي بالوفيات". تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م)، ٢: ١٢٢– ١٢٣؛ وأحمد بن محمد المقري، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، تحقيق إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م)، ٢: ٢١٠؛ ومحمود بن محمد الزركلي، "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م)، ٦: ٢١٧.

(١) إبراهيم بن علي بن فرحون، "الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب"، تحقيق وتعليق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور. (القاهرة: دار التراث للطبع والنشر)، ص:٣١٧.

(٢) محمد بن أحمد الذهبي، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، تحقيق عمر عبد السلام تدمري. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، ١٥: ٢٢٩.

(٣) يُنظَر: الداودي، "طبقات المفسرين"، ٢: ٦٥– ٦٦؛ والصفدي، "الوافي

ب–نبذة عن تفسير "الجامع لأحكام القرآن":

قدَّم الإمام القرطبي لتفسيره مقدمة حافلة في بيان فضائل القرآن وآداب حملته، وما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به، ثم أوضح مقصده وباعثه على كتابة هذا التفسير بقوله: "وعملته تذكرةً لنفسي، وذخيرةً ليوم رَمْسِي، وعملاً صالحًا بعد موتي"(١).

وكان يُعنى في تفسير القرآن الكريم ببيان التعبير القرآني وأسراره ومنزلته من الكلام العربي، وعُنِي باللغات والإعراب والقراءات، وكان يورد الآية أو الآيات ويفسرها تحت عدد من المسائل، وكان يبين أسباب النزول، وغريب الألفاظ، وأقوال الفقهاء، ويسير مع الدليل، ولا يتعصَّب لمذهبه المالكي، ونقل عمن سبقه في التفسير؛ كالإمام ابن جرير، والإمام ابن عطية.

قال الإمام الذهبي عن تفسير الإمام القرطبي: "وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه"(٢).

وقال الشيخ ابن فرحون عن هذا التفسير: "وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمها نفعًا، أسقط منه القصص(٣) والتواريخ، وأثبت

بالوفيات"، ٢: ١٢٢– ١٢٣.

(١) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ١: ٣.

(٢) الذهبي، "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، ١٥: ٢٢٩.

(٣) قول الشيخ ابن فرحون عن تفسير الإمام القرطبي: "أسقط منه القصص" ليس دقيقًا، وقد استدرك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في عدد من

عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنسوخ"[(١)].

رابعًا: نبذة عن الإمام ابن عاشور، وعن تفسيره "التحرير والتنوير":

أ–نبذة عن الإمام ابن عاشور:

هو محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور، ولد في تونس سنة (١٢٩٦) هـ، وهو من أسرة علمية عريقة، نبغ في علوم الشريعة واللغة والأدب، وتولَّى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وعُيِّن شيخًا لجامع الزيتونة، وكان من أعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة.

له العديد من المؤلفات الجليلة والآثار العلمية النافعة؛ من أبرزها: تفسيره "التحرير والتنوير"، و"مقاصد الشريعة"، و"النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح".

وكانت وفاته –رحمه الله– في تونس عام (١٣٩٣) هـ، وقد بلغ من العمر (٩٨) عامًا[(٢)].

المواضع إيراده القصص والروايات الإسرائيلية خلال تفسيره، وسيظهر ذلك بالتفصيل خلال هذا البحث بمشيئة الله.

(١) ابن فرحون، "الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب"، ص:٣١٧.

(٢) يُنظَر: الزركلي، "الأعلام"، ٦: ١٧٤؛ وإياد خالد الطَّباع، "محمد الطَّاهر ابن عاشُور، علَّامة الفِقه وأُصوله والتَّفسير وعُلومه"، ص: ٣٠– ٤٦–٨٧، د. محمد بن رزق بن طرهوني، "التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا"،

ب–نبذة عن تفسير "التحرير والتنوير":

الاسم الكامل لهذا التفسير القيّم هو "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، في تفسير الكتاب المجيد"، وقد ظلَّ الشيخ يؤلف في هذا التفسير قرابة الأربعين عامًا، حيث بدأ في الكتابة فيه ١٣٤١هـ وانتهى منه في عام ١٣٨٠هـ، وبدأ نشره على حلقات في (المجلَّة الزيتونيَّة).

وقد اشتمل على كثير من الفوائد واللطائف، مع الحرص على تلمُّس الحِكم من الأحكام والتشريعات، والإكثار من النقول عن العلماء في شتى فروع العلم(١).

وبيَّن العلَّامة ابن عاشور منهجه في تفسيره في مقدمته التي قال فيها: "وَقَدِ اهْتَمَمْتُ فِي تَفْسِيرِي هَذَا بِبَيَانِ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ، وَنُكَتِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ، وَاهْتَمَمْتُ أَيْضًا بِبَيَانِ تَنَاسُبِ اتِّصَالِ الْآيِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ... وَلَمْ أُغَادِرْ سُورَةً إِلَّا بَيَّنْتُ مَا أُحِيطُ بِهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا؛ لِئَلَّا يَكُونَ النَّاظِرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مَقْصُورًا عَلَى بَيَانِ مُفْرَدَاتِهِ وَمَعَانِي جُمَلِهِ كَأَنَّهَا فِقَرٌ مُتَفَرِّقَةٌ تَصْرِفُهُ عَنْ رَوْعَةِ انْسِجَامِهِ وَتَحْجُبُ عَنْهُ رَوَائِعَ جَمَالِهِ، وَاهْتَمَمْتُ بِتَبْيِينِ مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ فِي اللُّغَةِ

ص:٣٤٧.

(١) يُنظَر: د. محمد بن رزق بن طرهوني، "التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا"، ص: ٧٣٧ وما بعدها.

الْعَرَبِيَّةِ، بِضَبْطٍ وَتَحْقِيقٍ مِمَّا خَلَتْ عَنْ ضَبْطِ كَثِيرٍ مِنْهُ قَوَامِيسُ اللُّغَةِ"[(١)].

خامسًا: بيان المقصود بالدراسة التحليلية:

الدراسة التحليلية: هي الدراسة التي تقوم على عمليّاتٍ ثلاث؛ التّفسير، والنّقد، والاستنباط، وقد تجتمع هذه العمليات في البحث الواحد، وقد يُكتَفى ببعضها عن بعض.

فالتفسير: عبارة عن شرح موضوع الدراسة وبيانه.

والنقد: هو رصدٌ لمواطن الخطأ والصواب في موضوع البحث، يستند فيها الباحث إلى الأصول والثوابت العلميّة المقرّرة في مجال تخصصه.

والاستنباط: هو العملية العقلية التي تهدف إلى وضع نظرية علمية؛ أو بناء قاعدة؛ أو صياغة نتيجة معينة في التخصص[(٢)].

****بيان المعنى العام لعنوان البحث:**

بناءً على ما سبق؛ فإن عنوان هذا البحث يشير إلى دراسة التصويبات التي ذكرها الشيخ الجزائري في حاشيته "نهر الخير" لما

(١) محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". (ط١، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ١: ٨ باختصار.

(٢) يُنظَر: فريد الأنصاري، "أبجديات البحث في العلوم الشرعية"، ص: ٩٦.

عدَّها –من وجهة نظره– أخطاءً في تفسير الإمامين القرطبي وابن عاشور في عدد من المواضع؛ دراسةً قائمةً على التفصيل والتحليل والنقد والموازنة، للوصول إلى درجة دقَّة وواقعية هذه التصويبات.

المبحث الأول: استدراكات الشيخ الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمام القرطبي:

المطلب الأول: بيان المراد بـ (الرب) في قوله تعالى ((قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ)):

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [آل عمران:٤٧]: "ذهب القرطبي إلى أن كلمة: رب، تعني سيدي، أي: جبريل، وهو خطأ واضح بل المراد به الرب تبارك وتعالى، فهي تخاطب ربها طالبة معرفة سبب الولد، إذ الأسباب المعتادة لم تكن، فكيف يكون الولد؟"(١).

وبالرجوع إلى ما ذكره الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية نجد أنه قال: "قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ أَيْ يَا سَيِّدِي؛ تُخَاطِبُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَمَثَّلَ لَهَا قَالَ لَهَا: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّ، فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ اسْتَفْهَمَتْ عَنْ طَرِيقِ الْوَلَدِ"(٢).

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ١: ٣١٧، هامش رقم (٢).
(٢)محمد بن أحمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م)، ٤: ٩٢.

وبعد عرض كلام الإمامين يتبين أن الشيخ الجزائري قد استدرك على الإمام القرطبي في هذا الموضع قوله إن الذي خاطبته السيدة مريم في قولها ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ هو جبريل –عليه السلام–، وجعله الشيخ الجزائري خطأً واضحًا، وجزم بأن المخاطَب هو الله تبارك وتعالى.

وبعد الرجوع إلى كلام أئمة التفسير لاستيضاح هذه المسألة ظهر للباحث أن كثيرًا من أئمة التفسير جزموا بأن المخاطَب في قوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ هو الله تعالى.

وممن ذهب إلى ذلك الإمام الطبري –رحمه الله– عندما قال: "قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه قالت مريم إذ قالت لها الملائكة أنّ الله يبشرك بكلمة منه ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾، من أيّ وجه يكون لي ولد؟، أمِن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه، أمْ تبتدئ فيَّ خلقه من غير بعل ولا فحل، ومن غير أن يمسَّني بشر؟، فقال الله لها ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، يعني: هكذا يخلق الله منك ولدًا لك من غير أن يمسَّك بشر، فيجعله آيةً للناس وعبرة"[(١)].

وقرَّر ذلك الحافظ ابن كثير –رحمه الله– بقوله: "قَالَتْ فِي

(١)محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان في تأويل آي القرآن". تحقيق أحمد محمد شاكر. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ٦: ٤٢٠.

مُنَاجَاتِهَا ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ تَقُولُ: كَيْفَ يُوجَدُ هَذَا الْوَلَدُ مِنِّي وَأَنَا لَسْتُ بِذَاتِ زَوْجٍ وَلَا مِنْ عَزْمِي أَنْ أَتَزَوَّجَ، وَلَسْتُ بَغيا؟ حَاشَا لِلَّهِ. فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ –عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَوَابِ هَذَا السُّؤَالِ– ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، أَيْ: هَكَذَا أَمْرُ اللَّهِ عَظِيمٌ"[(١)].

وذهب إلى الرأي نفسه الإمام أبو السعود –رحمه الله– حيث قال: "﴿قَالَتْ﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على السؤالِ كأنه قيل: فماذا قالت مريمُ حين قالت لها الملائكةُ ما قالت؟، فقيل: قالت متضرعةً إلى ربها ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾أي: كيف يكونُ أو من أين يكون؟"[(٢)].

وممن صرَّح بذلك –أيضًا– الإمام القاسمي[(٣)]، والإمام السعدي[(٤)]، والإمام ابن عاشور[(٥)]، والشيخ محمد أبو زهرة[(٦)]، ويشهد لهذا القول ظاهر

(١)إسماعيل بن عمر بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩ هـ)، ٢: ٤٤.

(٢) محمد بن محمد أبو السعود، "إرشاد العقل السليم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٢: ٣٧.

(٣) يُنظَر: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، "محاسن التأويل". تحقيق محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ)، ٢: ٣١٩.

(٤) يُنظَر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م)، ص: ١٣١.

(٥) يُنظَر: ابن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ٣: ٢٤٨.

(٦) يُنظَر: محمد بن أحمد أبو زهرة، "زهرة التفاسير"، (دار الفكر العربي)، ٣: ١٢٢٤.

القرآن الكريم.

لكن الموضوعية تُلزِمنا القول: إن الإمام القرطبي لم يكن متفرّدًا بالقول الذي ذهب إليه؛ بل قال به قبله الإمام البغوي، وقال به بعده الإمام الخازن.

فقد ذكر الإمام البغوي القولين عند تفسير هذه الآية، مع تقديمه للقول القائل أن المخاطَب هو جبريل، وذِكْره بصيغة الجزم، ثم ذكر القول القائل أن المخاطَب هو الله تعالى، وذكره بصيغة التضعيف (قيل)، وهذا ظاهر في ترجيحه أن يكون المخاطَب هو جبريل –عليه السلام–.

قال الإمام البغوي –رحمه الله–: "﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ يَا سَيِّدِي تَقُولُهُ لِجِبْرِيلَ، وَقِيلَ: تَقُولُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"(١).

وقام بنفس الصنيع الإمام الخازن –رحمه الله– عندما قال: "قوله عز وجل: قالَتْ يعني مريم رَبِّ يعني يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل"(٢).

ويشهد لما ذهبوا إليه أن كلمة (رب) تُطلَق على الله تعالى وتُطلَق

(١) الحسين بن مسعود البغوي، "معالم التنزيل". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٢: ٣٩.

(٢)علي بن محمد الخازن، "لباب التأويل في معاني التنزيل". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، ١: ٢٤٦.

على غيره، فيُقال: رب الدار، ورب الإبل، ورب البيت، ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾[يوسف:٤١]، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٤٢]، والمراد بالربِّ في الآيتين: السيد، أو: ملك مصر(١).

مما سبق يظهر للباحث واقعية استدراك الشيخ الجزائري على كلام الإمام القرطبي في هذا الموضع، إلا أن الباحث يختار التعبير بمصطلحات الراجح والمرجوح في هذه المسألة، وليس بـ: الصواب والخطأ، لوجود نسبة من الاحتمالية في قول الإمام القرطبي –بدليل ذكر غيره من المفسرين لنفس قوله–، وتلطُّفًا في العبارة مع أئمة التفسير.

فيقول الباحث: ظهر لي رجحان ما ذهب إليه الشيخ الجزائري والأئمة قبله من كون المخاطَب في قوله تعالى ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ﴾ هو الله تبارك وتعالى، ومرجوحية ما ذهب إليه الإمام القرطبي ومَن قال بقوله في كون المخاطَب في قوله تعالى ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ﴾ هو جبريل –عليه السلام–، والله أعلم.

(١) يُنظَر: ابن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ١٢: ٢٧٨.

المطلب الثاني: بيان المراد في قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣]: "ما فسرنا به الآية أصح ما فسرت به، ولا التفات إلى ما أورد القرطبي من آراء عدة لا طائل تحتها"(١).

لكن: ما هي تلك الآراء التي أوردها الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية؟

بالرجوع إلى تفسير الإمام القرطبي نجد أنه قال في تفسير هذه الآية: " ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: الْمَعْنَى أَذَاعُوا بِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ لَمْ يَذِعْ وَلَمْ يُفْشِ. وَقَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ: الْكِسَائِيُّ وَالْأَخْفَشُ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَأَبُو حَاتِمٍ وَالطَّبَرِيُّ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، عَنِ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ، وَاخْتَارَهُ الزَّجَّاجُ قَالَ: لِأَنَّ هَذَا الِاسْتِنْبَاطَ الْأَكْثَرُ

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ١: ٥١٥، هامش رقم (٢).

يَعْرِفُهُ، لِأَنَّهُ اسْتِعْلَامُ خَبَرٍ. وَاخْتَارَ الْأَوَّلَ الْفَرَّاءُ قَالَ: لِأَنَّ عِلْمَ السَّرَايَا إِذَا ظَهَرَ عَلِمَهُ الْمُسْتَنْبِطُ وَغَيْرُهُ، وَالْإِذَاعَةُ تَكُونُ فِي بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ. قَالَ الْكَلْبِيُّ عَنْهُ: فَلِذَلِكَ اسْتَحْسَنْتُ الِاسْتِثْنَاءُ مِنَ الْإِذَاعَةِ. قَالَ النَّحَّاسُ: فَهَذَانِ قَوْلَانِ عَلَى الْمَجَازِ، يُرِيدُ أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا. وَقَوْلٌ ثَالِثٌ بِغَيْرِ مَجَازٍ: يَكُونُ الْمَعْنَى وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بِأَنْ بَعَثَ فِيكُمْ رَسُولًا أَقَامَ فِيكُمُ الْحُجَّةَ لَكَفَرْتُمْ وَأَشْرَكْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ يُوَحِّدُ. وَفِيهِ قَوْلٌ رَابِعٌ- قَالَ الضَّحَّاكُ: الْمَعْنَى لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا، أَيْ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَمْرٍ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا قَلِيلًا، يَعْنِي الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ قَوْلُهُ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مُسْتَثْنًى مِنْ قَوْلِهِ ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾. قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَأَنْكَرَ هَذَا الْقَوْلَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ، إِذْ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعَ النَّاسُ كلهم الشيطان"(١).

أما التفسير الذي اعتبره الشيخ الجزائري أصح ما فُسِّرتْ به الآية فهو قوله في تفسيره: "ثم قال تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أيها المؤمنون ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ في قبول تلك الإشاعات المغرضة والإذاعات المثبطة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم من ذوي الآراء الصائبة والحصافة العقلية، إذ مثلهم لا تثيرهم الدعاوى، ولا

(١) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٥: ٢٩٢.

تغيرهم الأراجيف، ككبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين"[١].

وبالنظر فيما أورده الإمام القرطبي فإنه ذكر أقوالًا متعددة في تفسير الآية، وهذا شائع في طريقة المتقدمين في مصنفاتهم؛ فلا حرج أبدًا على الإمام القرطبي –في نظر الباحث– في إيراد هذه الأقوال.

لكن؛ من ناحية أخرى قد يُقال: كان المناسب أن يرجِّح الإمام القرطبي بين هذه الأقوال بعد إيرادها، خاصة أن بعضها فيه تكلُّف وبُعْد بالفعل، وهما القولان الأول والثاني في نص كلامه السابق.

الأول: ما ذكره عن ابن عباس وغيره أن الْمَعْنَى: أَذَاعُوا بِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ لَمْ يَذِعْ وَلَمْ يُفْشِ.

والثاني: ما ذكره عن الحسن وغيره أن المعنى: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ[٢].

وقد عقَّب الإمام القرطبي على هذين القولين بقوله "قَالَ النَّحَّاسُ: فَهَذَانَ قَوْلَانِ عَلَى الْمَجَازِ، يُرِيدُ أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا"[٣].

والتكلُّف والبُعد ظاهرٌ في هذين القولين في نظر الباحث، وهذا

(١) الجزائري، "أيسر التفاسير"، ١: ٥١٥.

(٢) يُنظَر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٥: ٢٩٢.

(٣) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٥: ٢٩٢.

ما يجعل استدراك الشيخ الجزائري واقعيًا وموضوعيًا في هذا الموضع.

ومن جهة أخرى؛ نجد أن ما ذكره الشيخ الجزائري في تفسير الآية هو المناسب لطريقة "أيسر التفاسير" في تسهيل التفسير وتيسيره وتوضيحه لعموم المؤمنين –والله أعلم–.

المطلب الثالث: إيراد الإسرائيليات في قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[المائدة:٢٢]: "والجبار من الناس: المتعظم الممتنع من الذل والفقر، أو هو من يجبر الناس على مراده لقوته عليهم وقهره لهم، وذكر القرطبي هنا حديثًا مسهبًا عن عوج بن عناق، وهو حديث خرافة لما فيه من التهاويل الباطلة".(١)

على ضوء ذلك يتعيَّن على الباحث أن يقف على ما أورده الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية؛ حيث قال: "﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾أَيْ فَرَضَ دُخُولَهَا عَلَيْكُمْ وَوَعَدَكُمْ دُخُولَهَا وَسُكْنَاهَا لَكُمْ. وَلَمَّا خَرَجَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ أَمَرَهُمْ بِجِهَادِ أَهْلِ أَرِيحَاءَ مِنْ بِلَادِ

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ١: ٦١٦، هامش رقم (٤).

فِلَسْطِينَ فَقَالُوا: لَا عِلْمَ لَنَا بِتِلْكَ الدِّيَارِ، فَبَعَثَ بِأَمْرِ اللَّهِ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، مِنْ كُلِّ سِبْطٍ رَجُلٌ يَتَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَرَأَوْا سُكَّانَهَا الْجَبَّارِينَ مِنَ الْعَمَالِقَةِ، وَهُمْ ذَوُو أَجْسَامٍ هَائِلَةٍ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى هَؤُلَاءِ النُّقَبَاءَ فَأَخَذَهُمْ فِي كُمِّهِ مَعَ فَاكِهَةٍ كَانَ قَدْ حَمَلَهَا مِنْ بُسْتَانِهِ وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدِهِ وَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ قِتَالَنَا، فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: ارْجِعُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَأَخْبِرُوهُ خَبَرَنَا، عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ لَمَّا رَجَعُوا أَخَذُوا مِنْ عِنَبِ تِلْكَ الْأَرْضَ عُنْقُودًا فَقِيلَ: حَمَلَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَقِيلَ: حَمَلَهُ النُّقَبَاءُ الِاثْنَا عَشَرَ. قُلْتُ: وَهَذَا أَشْبَهُ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْجَبَّارِينَ وَجَدُوهُمْ يَدْخُلُ فِي كُمِّ أَحَدِهِمْ رَجُلَانِ مِنْهُمْ، وَلَا يَحْمِلُ عنقود أحدهم إلا خمسة منهم في خشية، وَيَدْخُلُ فِي شَطْرِ الرُّمَّانَةِ إِذَا نُزِعَ حَبُّهُ خمسة أنفس أو أربعة، قُلْتُ: وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا وَالْأَوَّلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْجَبَّارَ الَّذِي أَخَذَهُمْ فِي كُمِّهِ- وَيُقَالُ: فِي حِجْرِهِ- هُوَ عُوجُ بْنُ عُنَاقٍ وَكَانَ أَطْوَلَهُمْ قَامَةً وَأَعْظَمَهُمْ خَلْقًا، عَلَى مَا يَأْتِي مِنْ ذِكْرِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَكَانَ طول سائرهم ستة أذرع ونصف فِي قَوْلِ مُقَاتِلٍ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ طُولُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَلَمَّا أَذَاعُوا الْخَبَرَ مَا عَدَا يُوشَعَ وَكَالِبَ ابن يُوقِنَا، وَامْتَنَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْجِهَادِ عُوقِبُوا بِالتِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ مَاتَ أُولَئِكَ الْعُصَاةُ وَنَشَأَ أَوْلَادُهُمْ، فَقَاتَلُوا الْجَبَّارِينَ وَغَلَبُوهُمْ ..... ثُمَّ قِيلَ: كَانَ هَؤُلَاءِ مِنْ بَقَايَا عَادٍ. وَقِيلَ: هُمْ مِنْ وَلَدِ عيصو بْنِ إِسْحَاقَ، وَكَانُوا مِنَ الرُّومِ، وَكَانَ مَعَهُمْ عُوجٌ الْأَعْنَقُ، وَكَانَ

طُولُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ وثلاثمائة وَثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ، وَكَانَ يَحْتَجِنُ السَّحَابَ أَيْ يَجْذِبُهُ بِمِحْجَنِهِ وَيَشْرَبُ مِنْهُ، وَيَتَنَاوَلُ الْحُوتَ مِنْ قَاعِ الْبَحْرِ فَيَشْوِيهِ بِعَيْنِ الشَّمْسِ يَرْفَعُهُ إِلَيْهَا ثُمَّ يَأْكُلُهُ. وَحَضَرَ طُوفَانَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يُجَاوِزْ رُكْبَتَيْهِ وَكَانَ عمره ثلاثة آلاف وَسِتَّمِائَةِ سَنَةٍ، وَأَنَّهُ قَلَعَ صَخْرَةً عَلَى قَدْرِ عَسْكَرِ مُوسَى لِيَرْضَخَهُمْ بِهَا، فَبَعَثَ اللَّهُ طَائِرًا فَنَقَرَهَا وَوَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ فَصَرَعَتْهُ. وَأَقْبَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطُولُهُ عَشَرَةُ أَذْرُعٍ، وَعَصَاهُ عَشَرَةُ أَذْرُعٍ وَتَرَقَّى فِي السَّمَاءِ عَشَرَةَ أَذْرُعٍ فَمَا أَصَابَ إِلَّا كَعْبَهُ وَهُوَ مَصْرُوعٌ فَقَتَلَهُ. وَقِيلَ: بَلْ ضَرَبَهُ فِي الْعِرْقِ الَّذِي تَحْتَ كَعْبِهِ فَصَرَعَهُ فَمَاتَ".(١)

وبالنظر فيما علَّق به الشيخ أبو بكر الجزائري على كلام الإمام القرطبي= يجده الباحث تعليقًا واقعيًا صحيحًا، بالفعل كان حديث الإمام القرطبي عن روايات عوج بن عناق طويلًا مسهبًا.

وبالفعل كانت الروايات التي أوردها الإمام القرطبي تشتمل على تهاويل باطلة تجعل هذا الكلام يندرج تحت "الخرافات" و"الأباطيل" و"الأساطير".

ولم يكن الشيخ الجزائري أول مَن حكم بذلك على هذه الروايات؛ بل قال ذلك قبله أئمة أعلام، تعجَّبوا من إيراد هذه الإسرائيليات الموضوعة الباطلة في كتب التفسير، وفنَّدوا هذه الروايات

(١) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٦: ١٢٥ – ١٢٧ باختصار.

وبيَّنوا مخالفتها للمعقول والمنقول، وفيما يلي طرف من كلام الأئمة الأعلام في هذه الروايات.

قال الإمام ابن القيم (ت:٧٥١هـ) –رحمه الله–: "ومن الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعا : أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ مِمَّا تَقُومُ الشَّوَاهِدُ الصَّحِيحَةُ عَلَى بِطْلانِهِ ، كَحَدِيثِ عَوْجِ بْنِ عُنُقٍ الطَّوِيلِ الَّذِي قَصَدَ واضعه الطعن في أخبار الأنبياء ، فإنهم يجترئون عَلَى هَذِهِ الأَخْبَارِ ، فَإِنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ "أَنَّ طُولَهُ كَانَ ثَلاثَةَ آلافِ ذِرَاعٍ وَثَلاثِ مئة وَثَلاثَةَ وَثَلاثِينَ وَثُلُثًا ، وَأَنَّ نُوحًا لَمَّا حَوَّفَهُ الْغَرَقُ قَالَ لَهُ احْمِلْنِي فِي قَصْعَتِكَ هَذِهِ، وَأَنَّ الطُّوفَانَ لَمْ يَصِلْ إِلَى كَعْبِهِ ، وَأَنَّهُ خَاضَ الْبَحْرَ فَوَصَلَ إِلَى حُجْزَتِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ الْحُوتَ مِنْ قَرَارِ الْبَحْرِ فَيَشْوِيهِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ، وَأَنَّهُ قَلَعَ صَخْرَةً عظيمة عَلَى قَدْرِ عَسْكَرِ مُوسَى وَأَرَادَ أَنْ يَرْمِيهِمْ بِهَا فَقَوَّرَهَا اللَّهُ فِي عُنُقِهِ مِثْلَ الطَّوْقِ"!، وَلَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ جَرَأَةِ مِثْلَ هَذَا الْكَذَّابِ عَلَى اللَّهِ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ يُدْخِلُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كُتُبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَغَيْرِهِ وَلا يُبَيِّنُ أَمْرَهُ ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ لَيْسَ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ مَنْ بَقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٌ ، فَلَوْ كَانَ لِعَوْجٍ هَذَا وُجُودٌ لَمْ يَبْقَ بَعْدَ نُوحٍ"[(١)].

(١)محمد بن أبي بكر بن القيم، "المنار المنيف في الصحيح والضعيف"، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. (ط١، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية،

وقال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) –رحمه الله–: "وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُبْقِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، فَكَيْفَ يَزْعُمُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ عُوجَ بْنَ عُنُقَ، وَيُقَالُ: ابْنَ عِنَاقَ ، كَانَ مَوْجُودًا مِنْ قَبْلِ نُوحٍ إِلَى زَمَانِ مُوسَى ؟! وَيَقُولُونَ: كَانَ كَافِرًا مُتَمَرِّدًا جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَيَقُولُونَ: كَانَ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ ، بَلْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ عُنُقُ بِنْتُ آدَمَ مِنْ زِنًا، وَأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ طُولِهِ السَّمَكَ مِنْ قَرَارِ الْبِحَارِ ، وَيَشْوِيهِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِنُوحٍ ، وَهُوَ فِي السَّفِينَةِ: مَا هَذِهِ الْقُصَيْعَةُ الَّتِي لَكَ ، وَيَسْتَهْزِئُ بِهِ ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُ كَانَ طُولُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَثُلُثًا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْهَذَيَانَاتِ الَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا مُسَطَّرَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ التَّفَاسِيرِ وَغَيْرِهَا مِنَ التَّوَارِيخِ وَأَيَّامِ النَّاسِ لَمَا تَعَرَّضْنَا لِحِكَايَتِهَا لِسَقَاطَتِهَا، وَرَكَاكَتِهَا، ثُمَّ إِنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِلْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ، **أَمَّا الْمَعْقُولُ**: فَكَيْفَ يَسُوغُ فِيهِ أَنْ يُهْلِكَ اللَّهُ وَلَدَ نُوحٍ لِكُفْرِهِ ، وَأَبُوهُ نَبِيُّ الْأُمَّةِ وَزَعِيمُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَا يُهْلِكُ عُوجَ بْنَ عُنُقَ ، وَهُوَ أَظْلَمُ وَأَطْغَى عَلَى مَا ذَكَرُوا؟!، وَكَيْفَ لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَيَتْرُكُ هَذَا الدَّعِيَّ الْجَبَّارَ الْعَنِيدَ الْفَاجِرَ الشَّدِيدَ الْكَافِرَ الشَّيْطَانَ الْمَرِيدَ عَلَى مَا ذَكَرُوا؟!.

وَأَمَّا الْمَنْقُولُ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾، وَقَالَ ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، ثُمَّ هَذَا الطُّولُ الَّذِي ذَكَرُوهُ مُخَالِفٌ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى

١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص: ٧٦– ٧٧.

الْآنَ)[١]، فَهَذَا نَصُّ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ الْمَعْصُومِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ، أَيْ: لَمْ يَزَلِ النَّاسُ فِي نُقْصَانٍ فِي طُولِهِمْ مِنْ آدَمَ إِلَى يَوْمِ إِخْبَارِهِ بِذَلِكَ ، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ مَنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْهُ، فَكَيْفَ يُتْرَكُ هَذَا وَيُذْهَلُ عَنْهُ ؟ وَيُصَارُ إِلَى أَقْوَالِ الْكَذَبَةِ الْكَفَرَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ بَدَّلُوا كُتُبَ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةَ وَحَرَّفُوهَا وَأَوَّلُوهَا وَوَضَعُوهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَا هُمْ يَسْتَقِلُّونَ بِنَقْلِهِ أَوْ يُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ، وَهُمُ الْكَذَبَةُ الْخَوَنَةُ ، عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ عَنْ عُوجَ بْنِ عَنَاقَ إِلَّا اخْتِلَاقًا مِنْ بَعْضِ زَنَادِقَتِهِمْ وَفُجَّارِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا أَعْدَاءَ الْأَنْبِيَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".[٢]

والمتعين على المفسر أن يتجنَّب أن يفسر كتاب الله بهذه

(١)متفق عليه: محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح الإمام البخاري"، تحقيق مصطفى البغا. (ط٣، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٢٦)؛ ومسلم بن الحجاج، "صحيح الإمام مسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (ط١، بيروت: دار التراث العربي، ١٤١٢هـ)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، رقم (٢٨٤١).

(٢)إسماعيل بن عمر بن كثير، "البداية والنهاية"، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ١: ٢٦٦- ٢٦٨؛ ويُنظَر: محمود بن عبد الله الألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق علي عبد الباري عطية. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٣: ٢٥٨- ٢٥٩.

الأخبار، وليس في نص القرآن ما يشير الى ما ورد في هذه الروايات التي حكاها وذكرها أهل الكتاب، فكم من علم أفسدته هذه الإسرائيليات؛ وكم من خرافات وأباطيل وضعته هذه الروايات؟![1].

المطلب الرابع: إيراد الإسرائيليات في قوله تعالى ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف:١١٣]: "لقد ذكر القرطبي في عدد السحرة أخباراً مثلها لا يصح، إذ جاء في بعضهم أن عددهم كان سبعين ألف ساحر، والأقرب إلى أن يكونوا سبعين رجلاً".[2]

وبالرجوع إلى تفسير الإمام القرطبي نجد أنه قال في تفسير هذه الآية: "قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، مَعَ كُلِّ نَقِيبٍ عِشْرُونَ عَرِيفًا، تَحْتَ يَدَيْ كُلِّ عَرِيفٍ أَلْفُ سَاحِرٍ. وَكَانَ رَئِيسَهُمْ شَمْعُونُ فِي قَوْلِ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: كَانُوا تِسْعَمِائَةٍ مِنَ الْعَرِيشِ وَالْفَيُّومِ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَثْلَاثًا. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ سَاحِرٍ، وَرُوِيَ عَنْ وَهْبٍ. وَقِيلَ: كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا. وَقَالَ ابْنُ

(١) يُنظَر: محمد بن محمد أبو شهبة، "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير". (ط٤، مكتبة السنة)، ص: ١٨٧.

(٢) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٢: ٢١٨، هامش رقم (١).

الْمُنْكَدِرِ: ثَمَانِينَ أَلْفًا. وَقِيلَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا. وَقِيلَ: كَانُوا ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ سَاحِرٍ مِنَ الرِّيفِ، وَثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ سَاحِرٍ مِنَ الصَّعِيدِ، وَثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ سَاحِرٍ مِنَ الْفَيُّومِ وَمَا وَالَاهَا. وَقِيلَ: كَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا. وَقِيلَ: ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ".(١)

بعد عرض كلام الإمامين يرى الباحث أن ما نقله الإمام القرطبي ليس متفردًا به، فقد ذكره على سبيل المثال الحافظ ابن كثير حيث قال: "قيل كانوا ثمانين ألفا. قاله محمد بن كعب، وقيل سبعين ألفا قاله القاسم بن أبي بردة، وقال السدي بضعة وثلاثين ألفا، وعن أبي أمامة تسعة عشر ألفا، وقال محمد بن إسحاق خمسة عشر ألفا، وقال كعب الأحبار كانوا اثني عشر ألفا".(٢)

ومن ناحية أخرى؛ فإن ما اختاره الشيخ الجزائري –رحمه الله– من كون عدد السحرة سبعين ساحرًا= ثابتٌ في أثر عن سيدنا ابن عباس ذكره الحافظ ابن كثير والإمام السيوطي –رحمهما الله–.
قال الحافظ ابن كثير: "عن ابن عباس كانوا سبعين رجلا".(٣)

(١) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٧: ٢٥٨؛ وانظر هذه الآثار في: تفسير ابن أبي حاتم، ٥: ١٥٣٤– ١٥٣٥؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الدر المنثور". (بيروت: دار الفكر)، ٣: ٥١٣.
(٢) ابن كثير، "البداية والنهاية"، ١: ٢٩٤.
(٣) ابن كثير، "البداية والنهاية"، ١: ٢٩٤؛ ويُنظَر: السيوطي، "الدر المنثور"، ٣: ٥١٣.

ومرجع كل هذه الروايات إلى الإسرائيليات التي لم يرد في نصوص الشرع ما يصدقها أو يكذِّبها، وليست من الأمور التي يترتب على العلم بها أداء فرض، ولا في الجهل بها تضييع واجب.

المطلب الخامس: تحديد مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٦٧]: "القرطبي رحمه الله تعالى ردَّ الضمير في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إلى فرعون وملئه فقال: لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسيا امرأة فرعون ... الخ في حين أن أكثر المفسرين على أن الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو وجه العبرة من السياق". (١)

وبالرجوع إلى تفسير الإمام القرطبي نجد أنه قال في تفسير هذه الآية: "لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِلَّا مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَاسْمُهُ حَزْقِيلُ وَابْنَتُهُ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ ذَا مُوسَى الْعَجُوزُ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ". (٢)

وبعد عرض كلام الإمامين يتبين أن الشيخ الجزائري قد استدرك

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٣: ٦٥٣، هامش رقم (٥).
(٢) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٣: ١٠٨.

على الإمام القرطبي في هذا الموضع جعله الضمير في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ عائدًا إلى فرعون وقومه، وعلَّق الشيخ الجزائري على ذلك بأن أكثر المفسرين على أن الخطاب في الآية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويترتَّب على ذلك أن الضمير في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سيكون عائدًا إلى قريش أو أهل مكة.

وبمطالعة كلام أئمة التفسير في هذه المسألة ظهر للباحث عدم واقعية كلام الشيخ الجزائري في تعليقه على الإمام القرطبي في هذا الموضع؛ حيث تبيَّن للباحث أن أكثر المفسرين ذهبوا إلى ما قاله الإمام القرطبي من كون الضمير في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ عائدًا إلى فرعون وقومه؛ وليس العكس.

بينما ذهب عدد من المفسرين إلى أن الخطاب في الآية للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وأن الضمير في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ عائدٌ إلى قريش أو أهل مكة، وهو ما ذهب إليه الشيخ الجزائري.

فقد ذهب إلى أن الخطاب في الآية للنبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: الإمام الطبري، والإمام أبو السعود، والإمام الألوسي.

قال الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسيره لهذه الآية: ﴿وَمَا

﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحقّ المبين، فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون".[١]

أما القول الثاني القائل بأن الضمير في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ عائدٌ إلى فرعون وقومه؛ **فقد ذهب إليه: الإمام البغوي، والإمام ابن الجوزي، والإمام الرازي[٢]، والإمام البيضاوي[٣]، والإمام النسفي[٤]، والإمام الخازن[٥]، والإمام الشوكاني[٦]، والإمام القاسمي[٧]، والشيخ المراغي[٨]، والشيخ محمد**

(١) الطبري، "جامع البيان في تأويل آي القرآن"، ١٩: ٣٦١؛ ويُنظَر: أبو السعود، "إرشاد العقل السليم"، ٦: ٢٤٦؛ والألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، ١٠: ٨٩-٩٠.

(٢) يُنظَر: محمد بن عمر الرازي، "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٢٤: ٥٠٩.

(٣) يُنظَر: عبد الله بن عمر البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ)، ٤: ١٤٠.

(٤) يُنظَر: عبد الله بن أحمد النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". (ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ٢: ٥٦٦.

(٥) يُنظَر: الخازن، "لباب التأويل في معاني التنزيل"، ٣: ٣٢٦.

(٦) يُنظَر: محمد بن علي الشوكاني، "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ)، ٤/ ١١٩.

(٧) يُنظَر: القاسمي، "محاسن التأويل"، ٧: ٤٥٩.

(٨) يُنظَر: أحمد بن مصطفى المراغي، "تفسير المراغي". (ط١، القاهرة: شركة

أبو زهرة[١]، والدكتور وهبة الزحيلي[٢].

قال الإمام البغوي –رحمه الله– في تفسيره لهذه الآية: "﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، قِيلَ: لَمْ يَكُنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَحَزْبِيلُ الْمُؤْمِنُ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ نَاقُوسَا الَّتِي دَلَّتْ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ".[٣]

وقرَّر ذلك الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– بقوله: "﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكن أكثر أهل مصر مؤمنين".[٤]

مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م)، ١٩: ٦٩.

(١) يُنظَر: أبو زهرة، "زهرة التفاسير"، ١٠: ٥٣٦٢.

(٢) يُنظَر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج". (ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨ هـ)، ١٩: ١٥٧.

(٣) البغوي، "معالم التنزيل"، ٦: ١١٦.

(٤)عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق عبد الرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ٣: ٣٤٠؛ ويُنظَر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٢٤: ٥٠٩؛ والبيضاوي، "أنوار التنزيل"، ٤: ١٤٠؛ والنسفي، "مدارك التنزيل"، ٢: ٥٦٦؛ والخازن، "لباب التأويل في معاني التنزيل"، ٣: ٣٢٦؛ والشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ١١٩؛ والقاسمي، "محاسن التأويل"، ٧: ٤٥٩؛ والمراغي، "تفسير المراغي"، ١٩: ٦٩؛ وأبو زهرة، "زهرة التفاسير"، ١٠: ٥٣٦٢؛ والزحيلي، "التفسير المنير"،

إضافةً إلى ما سبق فقد لاحظ الباحث وجود عدة تعليقات للشيخ الجزائري في حاشيته على نفس هذه الآية التي تكررتْ -في مواضع تالية للآية التي معنا في هذا الموضع- في سورة الشعراء، وكان اتجاه الشيخ الجزائري في هذا الموضع هو التنصيص على مخالفة الإمام القرطبي لأكثر المفسرين في تحديده مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ –وهو ما ظهر عكسه–، **وحرص على تأييد وتعليل قوله** الذي خالف به قول الإمام القرطبي بقوله: "في حين أن أكثر المفسرين على أن الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو وجه العبرة من السياق"[(١)]، وأكَّد الشيخ الجزائري على هذا الاتجاه في موضعٍ تالٍ، وجزم بأن المراد بقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هم مشركو مكة، حيث قال في نفس الآية لكن في موضع آخر في نهاية قصة سيدنا نوح مع قومه عند قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١٢١]: "سبق أن ذكرتُ أن المراد بمن أكثرهم لا يؤمنون هم أكابر مجرمي مكة، وعلى رأسهم المستهزئون وهذا من إطلاق العام وإرادة الخاص، لأن الذين آمنوا وأسلموا أكثر ممن ماتوا على الكفر، أو نفي الإيمان مقيد بزمن معين لا يتعداه".[(٢)]

١٩: ١٥٧.

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٣: ٦٥٣، هامش رقم (٥).

(٢) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٣: ٦٦٥، هامش رقم (٢).

وبالرغم من كل ما سبق في كلام الشيخ الجزائري نفسه في الموضعين السابقين في هذه الآية؛ وجد الباحث تعليقًا للشيخ الجزائري في موضعٍ تالٍ في نفس الآية يُجوّز فيه القولين معًا، يُجوِّز أن يعود الكلام في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ على القوم الذين خُتِمتْ قصتهم بهذه الآية؛ أو: أن يعود الكلام على مشركي مكة!!، حيث قال الشيخ الجزائري في نفس الآية لكن في موضع آخر في نهاية قصة سيدنا صالح مع قومه عند قوله تعالى ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١٥٨]: "كان: مزيدة لتقوية الكلام، والعبارة جائز أن يراد بها قوم صالح إذ لم يؤمن منهم إلا القليل، وأن يراد بها كفار مكة؛ إذ أكثر المكابرين ما آمن ومات كافراً، أو ما آمن في تلك الفترة ثم آمن بعد الفتح".(١)

وبذلك يقرّر الباحث أن الشيخ الجزائري قد تردَّد كلامه في مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في ثلاثة مواضع في سورة الشعراء بين الترجيح والتعليل لقولٍ تارةً؛ وبين الجزم والقطع بنفس القول تارةً؛ وبين تجويز القولين في هذه المسألة تارةً!!.

ووجهة نظر الباحث أن القولين محتملان، وإلى كل قولٍ ذهب أئمة كبار لهم تقديرهم، ومعهم حجتهم، وتحديد مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لا يترتب على العلم به أداء

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٣: ٦٧٣، هامش رقم (٤).

فرض؛ ولا في الجهل به تضييع واجب.

وعلى أيّ قول من القولين فإن الأمر يدل دلالة أكيدة على أن "أسلوب القرآن معجز، لذلك احتمل كثيرًا من المعاني وكثيرًا من الوجوه، **ومن ذلك أيضًا صلاحية الضمير لأن يعود على أشياء متنوعة سبقته، وقع ذلك في القرآن كثيرًا جدًا**"(١).

المطلب السادس: تأويل صفة (القَدَم) عند تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق: ٣٠]: "أخرج مسلم في صحيحه أن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة)، نزع هنا بعض أهل العلم كالقرطبي إلى تأويل القدم، ففسرها بما يقدم للنار من أقوام، وأوَّلوا كذلك لفظ الرِّجْل في حديث (حتى يضع الله عليها رجله) وقال: الرِّجل بمعنى العدد الكثير من الناس كالرجل من الجراد، ولا داعي لهذا التأويل الذي لم يؤوله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يحدِّث به

(١)محمد عبد الخالق عضيمة، "دراسات لأسلوب القرآن الكريم". (القاهرة: دار الحديث)، ٨: ٢٣.

أصحابه، فالأسلم للمؤمن أن يؤمن بصفات الله ويمرها كما جاءت، فالقدم والرجل كاليد والعين صفات ذات لله يؤمن العبد بها وهو يعتقد أنها لا تشبه صفات العباد، وهي كذلك والحمد لله".[١]

وبالرجوع إلى تفسير الإمام القرطبي نجد أنه قال في تفسير هذه الآية: "قَالَ عُلَمَاؤُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ: أَمَّا مَعْنَى الْقَدَمِ هُنَا فَهُمْ قَوْمٌ يُقَدِّمُهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَكَذَلِكَ الرِّجْلُ وَهُوَ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، يُقَالُ: رَأَيْتُ رِجْلًا مِنَ النَّاسِ وَرِجْلًا مِنْ جَرَادٍ.....وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ) أَيْ مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ".[٢]

وبعد عرض كلام الإمامين يتبين أن الشيخ الجزائري في هذا الموضع وأمثاله قد قرَّر عقيدة السلف التي تتمثَّل في الإيمان بأسماء الله وصفاته الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وإثباتها بلا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهذا هو الأسلم في هذا الباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى: "فلا ينفون عنه ما وصف به

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٥: ١٤٨، هامش رقم (١).
(٢) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٧: ١٩ باختصار.

نفسه، ولا يحرّفون الكلِم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكيّفون ، ولا يمثّلون صفاته بصفات خلقه ؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له ، ولا كفؤ له ، ولا نِدَّ له ، ولا يقاس بخلْقه سبحانه وتعالى ؛ فإنه سبحانه أعلم بنفسه ، وبغيره ، وأصدق قيلا ، وأحسن حديثاً مِن خلقه".(١)

وقد جاءت النصوص الشرعية بإثبات صفة الرِّجل والقَدم لله تعالى كما يليق بكماله وعظيم جلاله، وعلى المؤمن أن يثبت ذلك لله، ويؤمن به، ويقف عند ذلك ولا يتجاوزه إلى بيان كيفية أو خوض في تأويل.

ودليل إثبات القَدَم لله تعالى ما ورد في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ).(٢)

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، "مجموع الفتاوى". تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٣ : ١٣٠.

(٢) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحَلِف بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ، رقم (٦٦٦١)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٤٨).

ودليل إثبات الرِّجْل لله تعالى ما ورد في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتْ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتْ الْجَنَّةُ : مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي ، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا).[(١)]

وقد نصَّ أئمة السلف وأعلام الأمة في عصورها المختلفة على إثبات صفة الرِّجل والقَدم لله تعالى كما يليق بكماله وجلاله، وفيما يلي طرف من أقوالهم في ذلك.

فقد عقد الإمام ابن خزيمة –رحمه الله– في "كتاب التوحيد" بابًا سمَّاه **"باب ذكر إثبات الرِّجل لله عز وجل".**[(٢)]

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قَوْله ((وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ))، رقم (٤٨٥٠)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٤٦).

(٢)محمد بن إسحاق بن خزيمة ، "كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجل". تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان. (ط٥، الرياض: دار الرشد،

ونصح الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام –رحمه الله– بعدم السؤال عن تفسير صفات الله تعالى بقوله: "هذه الأحاديث التي يقول فيها: ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها، والكرسي موضع القدمين ، وهذه الأحاديث في الرواية هي عندنا حق، حملها الثقات بعضهم عن بعض، غير أنا إذا سئلنا عن تفسيرها: لا نفسرها، وما أدركنا أحدا يفسرها".(١)

وأكَّد على اعتقاد أهل السنة في صفات الله تعالى وفصَّل القول فيه الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله– عندما قال: "فإن قال لنا قائل : فما الصواب في معاني هذه الصفات التي ذكرت ، وجاء ببعضها كتاب الله عز جل ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟، قيل: الصواب من هذا القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه ، كما نفى عن نفسه جل ثناؤه فقال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.... إلى أن قال: "فنثبت كل هذه المعاني التي ذكرنا أنها جاءت بها الأخبار

١٤١٤ – ١٩٩٤)، ٢: ٢٠٢.

(١)أحمد بن الحسين البيهقي، "الأسماء والصفات". تحقيق عبد الرحمن عميرة. (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٧ هـ)، ٢: ١٩٨؛ ويوسف بن عبد الله بن عبد البر، "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد". تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. (الرباط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية–المغرب، ١٣٨٧ هـ)، ٧: ١٤٩.

والكتاب والتنزيل على ما يُعقل من حقيقة الإثبات ، وننفي عنه التشبيه فنقول : يسمع جل ثناؤه الأصوات ، لا بخرق في أذن ، ولا جارحة كجوارح بني آدم . وكذلك يبصر الأشخاص ببصر لا يشبه أبصار بني آدم التي هي جوارح لهم. وله يدان ويمين وأصابع ، وليست جارحة ، ولكن يدان مبسوطتان بالنعم على الخلق، لا مقبوضتان عن الخير ، ووجه لا كجوارح بني آدم التي من لحم ودم. ونقول : يضحك إلى من شاء من خلقه، لا تقول: إن ذلك كشر عن أنياب ، ويهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا".[١]

وصرَّح الإمام ابن عبد البر الأندلسي المالكي (ت:٤٦٣هـ) بوجوب حمل الكلام على حقيقته وتجنُّب القول بالمجاز والتأويل عندما قال: "ومن حق الكلام أن يُحمل على حقيقته ، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ، وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم . ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات ، وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين".

(١)محمد بن جرير الطبري، "التبصير في معالم الدين". تحقيق علي بن عبد العزيز بن علي الشبل. (ط١، دار العاصمة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م)، ص: ١٤١-١٤٥ باختصار.

وقال ناقلاً إجماع أهل السنة على حمْل الكلام في الصفات الإلهية على حقيقته: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك".(١)

لكن؛ ماذا عن التأويلات المذكورة في هذه المسألة؟.

فيما يتعلَّق بالتأويلات المذكورة في هذه المسألة فقد كان لأهل العلم ردود عليها، ومن ذلك رد الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– على التأويلات الواردة في الكلام على صفة الرِّجْل عندما نقل كلام القائلين بالتأويل بقوله: "قالوا : (يضع عليها رجله) يعني: طائفة من عباده مستحقين للدخول؛ والرِّجل تأتي بمعنى الطائفة".

ثم قال في الرد على ذلك: "لا يمكن أن يضيف الله عز وجل أهل النار إلى نفسه؛ لأن إضافة الشيء إلى الله تكريم وتشريف".

وأجاب على التأويلات الواردة في صفة القَدَم عندما قال: "قالوا في القدم: قدم بمعنى مقدّم، أي يضع الله تعالى عليها مقدَّمه، أي من يقدمهم إلى النار.

فنقول: أهل النار لا يقدمهم الباري عز وجل، ولكنهم (يُدعّون إلى نار جهنم دعا) ويلقون فيها إلقاءً"(٢).

(١) ابن عبد البر، "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، ٧: ١٣١– ١٤٥.
(٢) محمد بن صالح بن عثيمين، "شرح العقيدة الواسطية". (ط٦، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ)، ٢: ٤٥٢.

المطلب السابع: تأويل صفة (المعيَّة) في قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد:٤]: "قال القرطبي: قد جمع تعالى بين الاستواء على العرش وبين (وهو معكم)، والأخذ بالظاهر تناقض، فدل على أنه لابد من التأويل، والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض، وأقول: إن كان يعني بالتأويل قول السلف: معنا بعلمه وقدرته فهذا صحيح، ومع هذا فإنه لا تناقض أبداً إذ هو تعالى على عرشه بائن من خلقه، والخلق كله بين يديه كحبة خردل يتصرف فيه كما يشاء لا يغيب عن علمه ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يعجزه شيء فيهما، ولذا قال بعضهم: إن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت". (١)

وبالرجوع إلى تفسير الإمام القرطبي نجد أنه قال في تفسير هذه الآية: "وَقَدْ جَمَعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيْنَ ((اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ)) وَبَيْنَ ((وَهُوَ

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٥: ٢٥٨، هامش رقم (٤).

مَعَكُمْ)) وَالْأَخْذُ بِالظَّاهِرَيْنِ تَنَاقُضٌ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ التَّأْوِيلِ اعْتِرَافٌ بِالتَّنَاقُضِ. وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لَمْ يَكُنْ بِأَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى حِينَ كَانَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ".(١)

وبعد عرض كلام الإمامين يتبين أن الشيخ الجزائري قد استدرك على الإمام القرطبي في هذا الموضع قوله بوجود التناقض إذا قلنا بإثبات كلٍ من الاستواء على العرش والمعية على الظاهر والحقيقة.

ونفى الشيخ الجزائري القول بالتناقض برد عقلي منطقي يمتاز بالإقناع مع سهولة العبارة ووضوح المثال عندما قال: "ومع هذا فإنه لا تناقض أبداً إذ هو تعالى على عرشه بائن من خلقه، والخلق كله بين يديه كحبة خردل يتصرف فيه كما يشاء لا يغيب عن علمه ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يعجزه شيء فيهما".(٢)

وكلام الشيخ الجزائري في هذا الموضع هو تقرير لعقيدة السلف في معيَّة الله لخلقه، تلك المعية التي تقتضي أن يكون محيطا بهم علما وقدرة وسمعا وبصرا وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته؛ مع علوه على عرشه فوق خلقه.

وعند القول: إن معية الله لخلقه في هذه الآية تعني معيته لخلقه

(١) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٧: ٢٣٧.

(٢) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٥: ٢٥٨، هامش رقم (٤).

بعلمه وإحاطته ورؤيته لهم وشهادته عليهم= فإنه بيان لصفة المعية على الظاهر والحقيقة؛ وليس في ذلك تأويل، وسياق آية سورة الحديد يدل على ذلك، ويظهر ذلك عند التأمل والتدبر في نص آية سورة الحديد التي قال فيها الحق سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

إن المتأمّل يجد أن أول الآية يثبت استواء الله على العرش بعد خلق السموات والأرض؛ قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

ثم في وسط الآية أثبت الله إحاطة علمه بالمخلوقات وأثبت معيته معهم في قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

ثم بيَّن سبحانه نوع المعية في آخر الآية بقوله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وبذا يتبين أن الله ذكر معيته مسبوقةً بذكر استوائه على عرشه وعموم علمه؛ متلوَّةً ببيان أنه بصير بما يعمل العباد، فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم

واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض، فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم ويرى أفعالهم ويدبر شؤونهم، لا يحجبه عن خلقه شيء، ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقةً؛ ولو كان فوقهم على عرشه حقيقةً كذلك.

وقد وضَّح شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أن فهْم المعيَّة بما سبق هو قول بالظاهر والحقيقة عندما قال: "ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه".[1]

كما نفى شيخ الإسلام –رحمه الله– وقوع التناقض بين إثبات كلٍ من معية الله لخلقه وبين استوائه تعالى على عرشه وعلوّه على الحقيقة بقوله: "وما ذكر في الكتاب والسنة من قُربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عَليٌّ في دُنوّه؛ قريبٌ في عُلوّه".[2]

ولتوضيح نفْي التناقض والتعارض بشكل أكثر بسطًا

(١)ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٥: ١٠٣.

(٢) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٣: ١٤٣.

وتفصيلًا أشير إلى أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علوِّ الله تعالى واستوائه على عرشه من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما، وكل شيء في القرآن يُظَنُّ فيه التناقض فلابد من تدبره، عملًا بقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، فإن لم يتبين المعنى فعلينا بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، مع اليقين بأن القصور في علمنا نحن أو في فهمنا، وأن القرآن لا تناقض فيه.

الوجه الثاني: أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق.

مثال ذلك: يقال ما زلنا نسير والقمر معنا؛ ولا يعد ذلك تناقضا، ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض، فإذا كان هذا ممكنا في حق المخلوق ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه يكون أولى، وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

الوجه الثالث: أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعا في حق الخالق الذي جمع لنفسه

بينهما، لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته كما قال تعالى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) (١).

المطلب الثامن: حالُ أَخَوَيْ أم كلثوم بنت عقبة عند تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:١٠]: "ذكر القرطبي أن أخوي أم كلثوم أتيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أختهما مهاجرين وأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردهما على المشركين ولم يرد أختهما أم كلثوم وكانت تحت عمرو بن العاص وهو مشرك يومئذ، وذكر ابن كثير: أن أخوي أم كلثوم وفدا يطالبان بأختهما لا مهاجرَيْن، وهذا الظاهر". (٢)

بالرجوع إلى تفسير الإمام القرطبي نجد أنه قال في تفسير هذه الآية: "وَقِيلَ: جَاءَتْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَجَاءَ أَهْلُهَا

(١) يُنظَر: محمد بن صالح بن عثيمين، "مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين". (دار الوطن– دار الثريا، ١٤١٣هـ)، ١: ٢٤٧–٢٥٠؛ ومحمد بن صالح بن عثيمين، "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى"، (ط٣، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص: ٥٣ –٦٠.

(٢) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٥: ٣٣٠، هامش رقم (٢).

يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يَرُدَّهَا. وَقِيلَ: هَرَبَتْ مِنْ زَوْجِهَا عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَمَعَهَا أَخَوَاهَا عُمَارَةُ وَالْوَلِيدُ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَوَيْهَا وَحَبَسَهَا، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، رُدَّهَا عَلَيْنَا لِلشَّرْطِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ الشَّرْطُ فِي الرِّجَالِ لَا فِي النِّسَاءِ) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ".(١)

وقد ثبت عن سيدنا عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– **الكيفية التي كان يمتحن بها الرسول –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– المؤمنات المهاجرات،** "فعن ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– فِي قَوْلِهِ تعالى ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أَنَّهُ سُئِلَ بِمَ كَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَمْتَحِنُ النِّسَاءَ؟، قَالَ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا جَاءَتِ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَلَّفَهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاللَّهِ مَا خَرَجَتْ رَغْبَةً بِأَرْضٍ عَنْ أَرْضٍ، وَبِاللَّهِ مَا خَرَجَتْ مِنْ بُغْضِ زَوْجٍ، وَبِاللَّهِ مَا خَرَجَتِ الْتِمَاسَ دُنْيَا، وَبِاللَّهِ مَا خَرَجَتْ إِلا حُبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ".(٢)

ونصَّ أئمة التفسير على سبب نزول هذه الآية، ومن هؤلاء الحافظ ابن كثير –رحمه الله– عندما قال: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ قَالَ: هَاجَرَتْ أُمّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيط فِي الْهِجْرَةِ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عُمَارَةُ وَالْوَلِيدُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٨: ٦١.

(٢) ابن أبي حاتم، "تفسير القرآن العظيم"، ١٠: ٣٣٥٠؛ والسيوطي، "الدر المنثور"، ٨: ١٣٦.

فَكَلَّمَاهُ فِيهَا أَنْ يَرُدَّهَا إِلَيْهِمَا، فَنَقَضَ اللَّهُ الْعَهْدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ فِي النِّسَاءِ خَاصَّةً، وَمَنَعَهُنَّ أَنْ يُرْدَدْنَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، **وَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الِامْتِحَانِ**".(١)

وبالنظر في كلام الإمامين –بعد عرض الآثار السابقة المتضمنة لسبب نزول هذه الآية– **يظهر للباحث أن ما استدركه الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في هذه المسألة صحيح، وما استظهره الشيخ الجزائري هو ما عليه أئمة التفسير وأعلام السِّيَر والتراجم والتاريخ.**

أما أئمة التفسير؛ فقد نصُّوا على أن عمارة والوليد أخويْ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قد وفدا على النبي يطالبان بردِّ أختهما، ولم يكونا مهاجِرَيْن، وفيما يلي طرفٌ من كلام علماء التفسير في ذلك.

قال الإمام البغوي (ت: ٥١٠هـ) –رحمه الله–: "وَجَاءَتِ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ، وَكَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ مُهَاجِرَةً وَهِيَ عَاتِقٌ(٢)، فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ فَلَمْ

(١)إسماعيل بن عمر بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩ هـ)، ٨: ٩٢؛ ويُنظَر: الشوكاني، "فتح القدير"، ٥: ٢٥٨؛ ومحمد صديق خان القنوجي، "فتح البيان في مقاصد القرآن". (بيروت: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنشْر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، ١٤: ٨٤.

(٢) العاتق: هي الشابة أول ما تدرك. يُنظَر: النهاية، ٣/ ١٧٨.

يُرْجِعْهَا إِلَيْهِمْ".[١]

ووضَّح الإمام ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) –رحمه الله– القصة بتفصيل أكثر بقوله: "وذكر جماعة من العلماء منهم محمّد بن سعد كاتب الواقدي أن هذه الآية نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أول من هاجر من النساء إلى المدينة بعد هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، **فَقَدِمَتْ المدينة في هدنة الحديبية، فخرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة، فقالا: يا محمّد أوفِ لنا بشروطنا**، وقالت أم كلثوم: يا رسول الله أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف ما قد علمت، فتردّني إلى الكفار يفتنوني عن ديني، ولا صبر لي؟! فنقض الله العهد في النِّساء، وأنزل فيهن المحنة، وحكم فيهنَّ بحكم رضوه كلّهم، ونزل في أم كلثوم: فَامْتَحِنُوهُنَّ فامتحنها رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وامتحن النساء بعدها ..... وقد اختلف العلماء في المرأة التي كانت سبباً لنزول هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سبيعة، وقد ذكرناه عن ابن عباس، والثاني: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، **وقد ذكرناه عن جماعة من أهل العلم، وهو المشهور،** والثالث: أُميمة بنت بشر من بني عمرو بن عوف".[٢]

وقد أكَّد أعلام السِّيَر والتراجم على ما نصَّ عليه أئمة

(١) البغوي، "معالم التنزيل"، ٥: ٧٣.

(٢) ابن الجوزي، "زاد المسير"، ٤: ٢٧١– ٢٧٢؛ ويُنظَر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٨: ٩٢؛ الشوكاني، "فتح القدير"، ٥: ٢٥٨؛ والألوسي، "روح المعاني"، ١٤: ٢٦٩؛ والقنوجي، "فتح البيان"، ١٤: ٨٤.

التفسير في هذه المسألة، وفيما يلي طرفٌ من أقوالهم في ذلك.

قرَّر الحافظ الذهبي –رحمه الله– أن عمارة والوليد أخويْ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قد وفدا على النبي يطالبان بردِّ أختهما ولم يكونا مهاجِرَيْن؛ بقوله: "أسلمت بمكة وبايعت ولم يتهيأ لها هجرة إلى سنة سبع، وكان خروجها زمن صلح الحديبية فخرج في إثرها أخواها الوليد وعمارة، فما زالا حتى قدما المدينة فقالا يا محمد: فِ لنا بشرطنا، فقالت: أتردني يا رسول الله إلى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي وحال النساء في الضعف ما قد علمت، فأنزل الله تعالى ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾". (١)

كما أكَّد على ذلك الحافظ ابن حجر –رحمه الله– عندما قال: "وكانت أم كلثوم ممن أسلم قديمًا وبايعت وخرجت إلى المدينة مهاجرة تمشي، فتبعها أخواها عمارة والوليد ليردَّاها؛ فلم ترجع". (٢)

بما سبق يتبيَّن أن استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في هذا الموضع كان موضوعيًا وواقعيًا –والله أعلم–.

---

(١)محمد بن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء". (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ٢: ٢٧٦.

(٢)أحمد بن علي بن حجر، "الإصابة في تمييز الصحابة". تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، ٨: ٤٦٣؛ ويُنظَر: ابن عبد البر، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ٤: ١٩٥٣.

المبحث الثاني: استدراكات الشيخ الجزائري في حاشيته "نهر الخير" على الإمام ابن عاشور:

المطلب الأول: تعيين القائل في قوله تعالى ((وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)):

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:٥٨]: "ذهب الشيخ محمد طاهر بن عاشور صاحب تفسير التحرير والتنوير إلى أن القائل لبني إسرائيل ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ..﴾ الآية هو موسى عليه السلام، وأن هذا الأمر كان في بداية أمرهم لما خرجوا من مصر، وأن الذين ظلموا منهم هم: عشرة رجال من اثنا عشر بعث بهم موسى عليه السلام جواسيس يكتشفون أمر العدو ويقدرون قوته قبل إعلان الحرب عليهم، فرجعوا وهم يهولون من شأن العدو وقوته، وينشرون الفزع والرعب في بني إسرائيل ما عدا اثنين منهم، وهما: يوشع بن نون قريب موسى، وطالب بن بقتة، الذين ذكرا في سورة المائدة ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ الآية، وخالف في هذا جمهور المفسرين، وادعى الغلط لهم، وما حمله على ذلك سوى أن السياق ما زال مع موسى وقومه؛ مع أن الله تعالى لم يذكر موسى بل

قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث البخاري قال: قيل لبني إسرائيل، ولم يقل قال موسى لبني إسرائيل، ونص الحديث: (قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً قولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوا وقالوا: حطة حبة في شعرة)، والآمر لهم حقيقة هو الله تعالى على لسان يوشع، إذ هو الذي قاد الحملة ونصره الله، ودخل بيت المقدس، وأحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاهدة".(١)

وبالرجوع إلى ما ذكره العلَّامة ابن عاشور –رحمه الله– في تفسير هذه الآية نجد أنه قال: "وَقَوْلُهُ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ يَتَعَيَّنُ أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَشَاعَهُ الْجَوَاسِيسُ الْعَشَرَةُ مِنْ مَذَمَّةِ الْأَرْضِ وَصُعُوبَتِهَا وَأَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا قَالَ مُوسَى حَيْثُ اسْتَنْصَتَ الشَّعْبُ بِلِسَانِ كَالَبِ بْنِ يَفْنَةَ وَيُوشَعَ وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ [١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا﴾ أَيْ مِنَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمُ ادْخُلُوا الْقَرْيَةَ وَأَنَّ الرِّجْزَ الَّذِي أَصَابَ الَّذِينَ ظَلَمُوا هُوَ الْوَبَاءُ الَّذِي أَصَابَ الْعَشَرَةَ الْجَوَاسِيسَ، وَيَنْتَظِمُ ذَلِكَ أَيْضًا مَعَ قَوْلِهِ فِي آيَةِ الْمَائِدَةِ [٢١، ٢٢] ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ إِلَخْ وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ١: ٥٨، هامش رقم (٥).

يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ﴾ [الْمَائِدَة: ٢٣] فَإِنَّ الْبَابَ يُنَاسِبُ الْقَرْيَةَ، وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الْمَائِدَة: ٢٦]، فَهَذَا هُوَ التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ الْمُنْطَبِقُ عَلَى التَّارِيخِ الصَّرِيحِ، فَقَوْلُهُ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ أَيْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى فَبَلَّغَهُ لِلْقَوْمِ بِوَاسِطَةِ اسْتِنْصَاتِ كَالِبِ بْنِ يَفْنَةَ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُوَافِقُ مَا فِي سُورَةِ الْعُقُودِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الْآيَاتِ. وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ فَقَوْلُهُ: ﴿ٱدْخُلُواْ﴾ إِمَّا أَمْرٌ بِدُخُولِ قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُمْ وَهِيَ «حَبْرُونُ» لِتَكُونَ مَرْكَزًا أَوَّلًا لَهُمْ، وَالْأَمْرُ بِالدُّخُولِ أَمْرٌ بِمَا يَتَوَقَّفُ الدُّخُولُ عَلَيْهِ أَعْنِي الْقِتَالَ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ الْمَائِدَةِ إِذْ قَالَ: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ فَإِنَّ الِارْتِدَادَ عَلَى الْأَدْبَارِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَارَفَةِ فِي الْحُرُوبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الْأَنْفَال:١٥]، وَلَعَلَّ فِي الْإِشَارَةِ بِكَلِمَةِ هذِهِ الْمُفِيدَةِ لِلْقُرْبِ مَا يُرَجِّحُ أَنَّ الْقَرْيَةَ هِيَ حَبْرُونُ الَّتِي طَلَعَ إِلَيْهَا جَوَاسِيسُهُمْ".(١)

بعد عرض كلام الإمامين في هذا الموضع يظهر أن الشيخ الجزائري قد استدرك على الإمام ابن عاشور قوله إن القائل لبني إسرائيل

(١) ابن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ١: ٥١٤.

في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ هو موسى عليه السلام، وجعله بقوله هذا مخالفًا لجمهور المفسرين، ونصَّ الشيخ الجزائري على أن الآمر لبني إسرائيل حقيقة في هذه الآية هو الله تعالى على لسان يوشع بن نون.

وبعد استعراض كتب التفسير ظهر للباحث أن أئمة التفسير لم يتفقوا على ترجيح قول واحد في هذه المسألة، وبان أن لأهل التفسير حيال تحديد القائل في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ طرائق متعددة بيانها فيما يلي.

أ–من أهل التفسير مَن لم يتعرَّض لتحديد القائل أصلًا في هذه الآية، ولا لبيان الأقوال والراجح منها في هذه المسألة.(١)

ب–من أهل التفسير مَن ذكر القولين –أن القائل في الآية هو نبي الله موسى أو يوشع بن نون– بدون ترجيح لأحد القولين على الآخر، ومن هؤلاء الإمام ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) –رحمه الله–؛ حيث ذكر القولين **بدون ترجيح** لأحدهما عندما قال: "قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ في القائل لهم قولان، أحدهما: أنه موسى بعد مضيّ الأربعين سنة، والثاني: أنه يوشع بن نون بعد موت

(١) يُنظَر على سبيل المثال: البغوي، "معالم التنزيل"، ١: ٩٨؛ والبيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، ١: ٨٢.

موسى".[١]

وكذلك فعل الإمام الخازن (ت:٧٤١هـ) –رحمه الله– عندما قال: "﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ سميت قرية لاجتماع الناس فيها، قال ابن عباس: هي أريحاء قرية الجبارين وقيل: كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم: العمالقة ورأسهم عوج بن عنق، فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحاء بعد موت موسى، لأن موسى مات في التيه، وقيل: هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى".[٢]

ج–من أهل التفسير مَن ذكر القولين **مع ترجيح أن القائل هو موسى –عليه السلام–، وهذا هو ما قال به الإمام ابن عاشور، ومن هؤلاء الإمام الألوسي (ت:١٢٧٠هـ) –رحمه الله– إذْ رجَّح أن القائل هو سيدنا موسى –عليه السلام–**؛ بقوله: "والظاهر أن الأمر بالدخول على لسان موسى عليه السلام كالأوامر السابقة واللاحقة..... وفي المراد بها هنا خلاف جمّ والمشهور عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والسدي والربيع وغيرهم– وإليه ذهب الجمهور– أنها بيت المقدس، وقد كان هذا الأمر بعد التيه والتحير وهو أمر إباحة يدل عليه عطف ﴿فَكُلُواْ﴾ إلخ وهو غير الأمر المذكور بقوله تعالى:

(١) ابن الجوزي، "زاد المسير"، ١: ٤٨.

(٢) الخازن، "لباب التأويل في معاني التنزيل"، ١: ٤٨.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢١] لأنه كان قبل ذلك وهو أمر تكليف كما يدل عليه عطف النهي، ومنهم من زعم اتحادهما وجعل هذا الأمر أيضا للتكليف وحمل تبديل الأمر على عدم امتثاله بناء على أنهم لم يدخلوا القدس في حياة موسى عليه السلام، ومنهم من ادّعى اختلافهما لكنه زعم أن ما هنا كان بعد التيه على لسان يوشع لا على لسان موسى عليهما السلام، لأنه وأخاه هارون ماتا في التيه وفتح يوشع مع بني إسرائيل أرض الشام بعد موته عليه السلام بثلاثة أشهر، ومنهم من قال الأمر في التيه بالدخول بعد الخروج عنه، ولا يخفى ما في كل، فالأظهر ما ذكرنا".(١)

وكذا الإمام القِنَّوْجِي (ت:١٣٠٧هـ) –رحمه الله– عندما قال: "قال جمهور المفسرين القرية هي بيت المقدس وبه قال مجاهد، وقال ابن عباس هي أريحاء قرية الجبارين، قال ابن الأثير قرية بالغور قريبة من بيت المقدس، وجزم القاضي وغيره بالأول، وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة، فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح اريحاء بعد موسى، لأن موسى مات في التيه، وعلى الأول القائل موسى عليه السلام، وقيل قرية من قرى الشام".(٢)

(١) الألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، ١: ٢٦٥.
(٢)القِنَّوجي، "فتح البيان في مقاصد القرآن"، ١: ١٧٦.

مما سبق يتبين أن مسألة تحديد القائل في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ اختلف فيها المفسرون على قولين، القول الأول: أن القائل هو سيدنا موسى –عليه السلام–، والقول الثاني: أن القائل هو يوشع بن نون، وكل قول من القولين له أدلته عند مَن قال به من المفسرين.

ولم يتفِّق جمهور المفسرين على قول من هذين القولين، ولم يخالف الإمام ابن عاشور جمهور المفسرين عندما ذهب إلى أن القائل في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ هو سيدنا موسى.

كما أن تحديد القائل في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ ليس من الأمور التي يترتب على العلم بها أداء فرض؛ ولا في الجهل بها تضييع واجب –والله أعلم–.

المطلب الثاني: تحديد نهاية الحِجَاج مع أهل الكتاب في سورة البقرة:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[البقرة:١٢٢]: "بهذا النداء ختم الحجاج مع اليهود في هذه السورة، فلم يجر لهم ذكر بعد فكان من براعة المقطع؛ ذكر هذا صاحب التحرير والتنوير، وليس صحيحاً، بل الصحيح: أن ختم

الحجاج مع اليهود انتهى عند قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ الآية ١٤٩". (١)

وبالرجوع إلى ما ذكره العلَّامة ابن عاشور في تفسير هذه الآية نجد أنه قال: "وَالْقَوْلُ فِي بَقِيَّةِ الْآيَاتِ مُسْتَغْنًى عَنْهُ بِمَا تَقَدَّمَ فِي نَظِيرَتِهَا، **وَهُنَا خَتَمَ الْحِجَاجَ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ** وَذَلِكَ مِنْ براعة المقطع، ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: لَمَّا كَمُلَتِ الْحُجَجُ نُهُوضًا عَلَى أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي عَمِيقِ ضَلَالِهِمْ بِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَتَبْيِينِ سُوءِ نَوَايَاهُمُ الَّتِي حَالَتْ دُونَ الِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِفَضْلِهِ، وَسَجَّلَ ذَلِكَ عَلَى زُعَمَاءِ الْمُعَانِدِينَ أَعْنِي الْيَهُودَ ابْتِدَاءً بِقَوْلِهِ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [الْبَقَرَة:٤٠] مَرَّتَيْنِ، وَأَدْمَجَ مَعَهُمُ النَّصَارَى اسْتِطْرَادًا مَقْصُودًا، ثُمَّ أُنْصِفَ الْمُنْصِفُونَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، انْتَقَلَ إِلَى تَوْجِيهِ التَّوْبِيخِ وَالتَّذْكِيرِ إِلَى الْعَرَبِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَّهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِمِلَّتِهِ". (٢)

بعد عرض كلام الإمامين في هذا الموضع يظهر أن الشيخ الجزائري قد استدرك على الإمام ابن عاشور قوله إن الله قد ختم

(١) الجزائري، حاشية "ثمر الخير على أيسر التفاسير"، ١: ١٠٩، هامش رقم (١).
(٢)ابن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ١: ٦٩٩ – ٧٠٠.

الحجاج مع اليهود في سورة البقرة بقوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٢٢]، وأن اليهود لم يعد لهم ذكر بعد هذه الآية في سورة البقرة، ونصَّ الشيخ الجزائري على أن الحجاج مع اليهود في سورة البقرة انتهى عند قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾.

وما قاله الشيخ الجزائري في استدراكه على الإمام ابن عاشور هو الصحيح بالفعل، بل يعجب الباحث من كيفية صدور هذا القول من العلَّامة ابن عاشور –رحمه الله– وهو مَنْ هو في الذكاء والاستحضار للنصوص والبراعة في الاستنباط والاستدلال والموسوعية في الاطلاع، ولعلَّ قوله هذا صدر غفلةً أو سهوًا –جلَّ مَن لا يسهو–.

الآية التي جعلها الإمام ابن عاشور خاتمة الحجاج مع اليهود في سورة البقرة جاء بعدها في السورة نفسها قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[البقرة: ١٣٥]، **أليس في هذه الآية حجاجٌ لليهود؟!**.

كما جاء بعدها في السورة نفسها قوله تعالى ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ

فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦- ١٣٨]، أليس في هذه الآيات حجاجٌ لليهود؟!.

كما ورد بعدها في السورة نفسها قوله تعالى ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة:١٣٩- ١٤٠]، أليس في هاتين الآيتين حجاجٌ لليهود؟!.

وجاء بعدها في السورة نفسها قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾[البقرة:١٤٦- ١٤٧]، أليس في هاتين الآيتين حجاجٌ لليهود؟!.

مما سبق يتبين أن استدراك الشيخ الجزائري على الإمام ابن عاشور في هذا الموضع كان في محلّه.

المطلب الثالث: ورود المؤمنين جهنم في قوله تعالى ((وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)):

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم: ٧١- ٧٢]: "حاول صاحب التحرير أن يردّ مذهب الجمهور في ورود المؤمنين على الصراط كسائر الخلق، ثمّ ينجي الله الذين اتقوا حيث يجتازونه بسلام، ويقع فيه الكافرون فلا يخرجون، وما هناك حاجة إلى ردّ مذهب الجمهور من أئمة الإسلام، إذ حديث الصراط والمرور به ثابت قطعيّاً، ففي صحيح مسلم: (ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم قيل: يا رسول الله–صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم–: وما الجسر؟، قال: دحض مزلّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمرّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم)، وبهذا الصراط فسّر السلف الورود على جهنم، ولم يقولوا بلازم الورود وهو الدخول، إذ قد يَرد المرء على الحوض ويقف على طرفه ولا يدخل فيه، وورد وصحّ قول الرسول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فيمن مات له ثلاثة ولد لم يبلغوا الحنث لا تمسه النار إلاّ تحلة القسم، وهو الورود على متن جهنم نظراً

إلى الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾".(١)

وبالرجوع إلى ما ذكره الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية نجد أنه قال: "فَالْمَعْنَى: وَعِلَاوَةٌ عَلَى ذَلِكَ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا مِنْ وُرُودِ جَهَنَّمَ. وَلَيْسَ الْمَعْنَى: ثُمَّ يُنْجِي الْمُتَّقِينَ مِنْ بَيْنِهِمْ بَلِ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ نَجَوْا مِنَ الْوُرُودِ إِلَى النَّارِ ..... فَلَيْسَ الْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها لِجَمِيعِ النَّاسِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ عَلَى مَعْنَى ابْتِدَاءِ كَلَامٍ بِحَيْثُ يَقْتَضِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرِدُونَ النَّارَ مَعَ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَنْجُونَ مِنْ عَذَابِهَا، لِأَنَّ هَذَا مَعنًى ثَقِيلٌ يَنْبُو عَنْهُ السِّيَاقُ، إِذْ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سِيَاقِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، وَلِأَنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ وَتَشْرِيفَهُمْ بِالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ يُنَافِي أَنْ يَسُوقَهُمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مسَاقًا وَاحِدًا، كَيْفَ وَقَدْ صَدَّرَ الْكَلَام بقوله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مَرْيَم: ٦٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مَرْيَم: ٨٥، ٨٦] ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي اخْتِلَافِ حَشْرِ الْفَرِيقَيْنِ..... وَهَذِهِ الْآيَةُ مَثَارُ إِشْكَالٍ وَمَحَطُّ قِيلَ وَقَالَ وَاتَّفَقَ جَمِيعُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُتَّقِينَ لَا تَنَالُهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَحَلِّ الْآيَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ ضَمِيرَ مِنْكُمْ لِجَمِيعِ الْمُخَاطَبِينَ بِالْقُرْآنِ، وَرَوَوْهُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ فَصَدَمَهُمْ فَسَادُ الْمَعْنَى وَمُنَافَاةُ حِكْمَةِ اللَّهِ وَالْأَدِلَّةِ الدَّالَةِ عَلَى سَلَامَةِ

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٣: ٣٢٥، هامش رقم (٢).

الْمُؤْمِنِينَ يَوْمئِذٍ مِنْ لِقَاءِ أَدْنَى عَذَابٍ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَ مِنَ التَّأْوِيلِ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْوُرُودَ بِالْمُرُورِ الْمُجَرَّدِ دُونَ أَنْ يَمَسَّ الْمُؤْمِنِينَ أَذَىً، وَهَذَا بُعْدٌ عَنِ الِاسْتِعْمَالِ، فَإِنَّ الْوُرُودَ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ حُصُولُ مَا هُوَ مُودَعٌ فِي الْمَوْرِدِ لِأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ وُرُودِ الْحَوْضِ. وَفِي آيِ الْقُرْآنِ مَا جَاءَ إِلَّا لِمَعْنَى الْمَصِيرِ إِلَى النَّارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ((إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها)) [الْأَنْبِيَاء: ٩٨، ٩٩] وَقَوْلُهُ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨] وَقَوْلُهُ ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مَرْيَم: ٨٦]، عَلَى أَنَّ إِيرَادَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى النَّارِ لَا جَدْوَى لَهُ فَيَكُونُ عَبَثًا ..... وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ وُرُودَ جَهَنَّمَ بِمُرُورِ الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ عَلَى جَهَنَّمَ، فَسَاقُوا الْأَخْبَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مُرُورِ النَّاسِ عَلَى الصِّرَاطِ مُتَفَاوِتِينَ فِي سُرْعَةِ الِاجْتِيَازِ. وَهَذَا أَقَلُّ بُعْدًا مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ..... وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَفَّقَ تَعْضِيدًا لِذَلِكَ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: أَنَّهُ (لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَلِجُ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ)، فَتَأَوَّلَ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ بِأَنَّهَا مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وَهَذَا مَحْمَلٌ بَاطِلٌ".(١)

بعد عرض كلام الإمامين في هذا الموضع يظهر أن الشيخ

(١)ابن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ١٦: ١٥٠ – ١٥٢ باختصار.

الجزائري قد استدرك على الإمام ابن عاشور نَفْيَه أن يكون الْخِطَاب فِي قَوْلِهِ تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ لِجَمِيع النَّاسِ، وإرادتَه تقرير إخراج المؤمنين من الورود على الصراط يوم القيامة؛ وجعْل المرور على الصراط خاص بالكفار.

ونصَّ الشيخ الجزائري على إثبات مرور المؤمنين على الصراط يوم القيامة، وذكر أدلةً على ذلك مما ورد في الصحيح من أحاديث الرسول –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم–.

وما قاله الشيخ الجزائري في استدراكه على الإمام ابن عاشور صحيحٌ فيما يتعلَّق بما عليه عموم المفسرين وجمهورهم في تفسير هذه الآية، وفيه تفصيل فيما يتعلَّق بدراسة هذه المسألة في كتب الاعتقاد، وفيما يلي البيان؛ والله المستعان.

بعد الاطلاع على كلام المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[مريم: ٧١] ظهر للباحث أن جمهور المفسرين على ترجيح أن الخطاب في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ لعموم الناس، المؤمن والكافر، وأن المراد بالورود: هو المرور على الصراط، وفيما يلي طرف من أقوال المفسرين في ذلك.

قال الإمام الطبري (ت: ٣١٠هـ) –رحمه الله–: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، ووروده‌موها هو ما تظاهرت به

الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها".[١]

وقرَّر ذلك الإمام ابن عطية (ت:٥٤٢هـ) –رحمه الله– بقوله: "وقال الأكثر المخاطب العالم كله ولا بد من «ورود» الجميع".[٢]

ونصَّ على ذلك الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– عندما قال: "وفيمن عُني بهذا الخطاب قولان؛ أحدهما: أنه عامّ في حق المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين، وروي عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية للكفار، وأكثر الروايات عنه كالقول الأول".[٣]

وذكر ذلك أيضًا الإمام الرازي –رحمه الله–بقوله: "وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ: إِنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فَلَمْ يَخُصَّ".[٤]

وجرى على ما سبق في تفسير هذه الآية جمعٌ من المفسرين، منهم: الإمام ابن جزي[٥]، والإمام الخازن[١]، والحافظ ابن كثير[٢]،

(١) الطبري، "جامع البيان في تأويل آي القرآن"، ١٨: ٢٣٤.

(٢)عبد الحق بن غالب بن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ)، ٤: ٢٧.

(٣) ابن الجوزي، "زاد المسير"، ٣: ١٤٢.

(٤) الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٢١: ٥٥٧.

(٥) يُنظَر: ابن جزي، "التسهيل"، ١: ٤٨٤.

والشيخ السعدي[٣]، والشيخ المراغي[٤]، والشيخ الشنقيطي[٥]، والدكتور وهبة الزحيلي[٦].

من خلال ما سبق يتبين بوضوح أن جمهور المفسرين قد ذكروا في المراد بالخطاب في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾قولين.

القول الأول: الخطاب لعموم الناس، المؤمن والكافر.

القول الثاني: الخطاب للكفار خاصَّةً.

كما ظهر –كذلك– أن جمهور المفسرين على ترجيح القول الأول القائل بأن الخطاب في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾لعموم الناس، مؤمنهم وكافرهم.

وهذا شاهدٌ على صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام ابن عاشور في هذا الموضع، ودليل على دقة وموضوعية الشيخ الجزائري في كلامه.

---

(١) يُنظَر: الخازن، "لباب التأويل في معاني التنزيل"، ٣: ١٩٤.

(٢) يُنظَر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ٢٥٦.

(٣) يُنظَر: السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ص:٤٩٨.

(٤) يُنظَر: المراغي، "تفسير المراغي"، ١٦: ٧٢.

(٥) يُنظَر: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م)، ٣: ٤٧٩.

(٦) يُنظَر: الزحيلي، "التفسير المنير"، ١٦: ١٤٥.

لكن العجيب أن الباحث وجد في كتب العقيدة قولًا ثالثًا لم يجده فيما اطَّلع عليه من كتب المفسرين، وهذا القول له أدلته الصحيحة الصريحة الظاهرة التي تجعله هو القول الراجح من وجهة نظر الباحث.

هذا القول خلاصته: أن الخطاب في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خاصٌّ بالموحِّدين، أتباع الرسل والأنبياء، من أمَّة النبي والأمم السابقة، وهذا الورود هو المرور على الصراط المنصوب على جهنم، ونتيجة المرور على الصراط تتمثَّل في تمييز المؤمنين الصادقين عن المنافقين، أما أهل الشرك والكفر فيتساقطون في جهنم قبل ذلك، ولا يمرُّون على الصراط ولا يُنصَب لهم صراط أصلًا.

لكن في البداية؛ ما هو الصراط؟.

ثم؛ ما هي الأدلة على هذا القول الأخير؟.

الصراط: جسر ممدود يُنصَب يوم القيامة على متن جهنم، أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشَّعر.

ومذهب أهل السنَّة الذي دلت عليه النصوص هو إثبات الصراط على الحقيقة.[١]

(١) يُنظَر: محمد بن أحمد السفاريني، "لوامع الأنوار البهية". (ط٢، دمشق: مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، ٢: ١٨٩ – ١٩٢؛ ومحمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي، "شرح العقيدة الطحاوية". تحقيق أحمد

والدليل على أن المرور على الصراط لا يكون إلا للموحِّدين وأتباع الرسل بعد سقوط الكفار والمشركين في جهنم ما ثبت في الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا ..... ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ..... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ

شاكر. (ط١، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ)، ص: ٤١٤.

آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا).[١]

فهذا نصٌ في أعلى درجات الصحة من كلام الرسول –حديثٌ متَّفق عليه– يدل دلالة واضحة ظاهرة صريحة على أن الصراط إنما يكون بعد ذهاب الكفار والمشركين إلى النار، وأن أهل الكفر والشرك لا ينصب لهم صراط؛ وإنما يلقون في النار ابتداءً، وأن الصراط يُنصَب لأتباع الرسل من المؤمنين الأتقياء وأهل المعاصي –وفيهم الفجرة والمنافقون–، وهؤلاء يُعطَوْن من النور ما يناسب أحوالهم وأعمالهم، وبهذا النور يكون المرور على الصراط، فأهل النفاق يطفأ نورهم قبل بدء المرور على الصراط، ويحال بينهم وبين المؤمنين بسور، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[الحديد:١٣، ١٤]، ثم يمر أهل الإيمان بعد ذلك على

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))، رقم (٧٤٣٩)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣).

قدر أعمالهم ونورهم.[١]

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي –رحمه الله–: "واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط".[٢]

وقال كذلك: "فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح وعزير من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط".[٣]

قال الدكتور عمر الأشقر –رحمه الله–: "الذين يمرُّون على الصّراط هم المؤمنون دون المشركين، دلت الأحاديث التي سقناها على أن الأمم الكافرة تتبع ما كانت تعبد من آلهة باطلة، فتسير تلك الآلهة بالعابدين حتى تهوي بهم في النار، ثم يبقى بعد ذلك المؤمنون –وفيهم المنافقون وعصاة المؤمنين–، وهؤلاء هم الذين ينصب لهم الصراط، ولم أرَ في كتب أهل العلم مَن تنبَّه إلى ما قررناه من أن الصراط إنما يكون للمؤمنين دون غيرهم من الكفرة المشركين والملحدين غير ابن رجب

(١) يُنظَر: عمر بن سليمان الأشقر، "القيامة الكبرى". (ط٦، عمان: دار النفائس، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م)، ص: ٢٦٣– ٢٦٤.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، "التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار". (ط١، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩٩هـ)، ص: ٢٣٥.

(٣) ابن رجب الحنبلي، "التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار"، ص: ٢٣٧.

الحنبلي".[١]

كما أكَّد الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- على أن المرور على الصراط لا يكون إلا للموحِّدين، وأن المشركين والكفار ليس لهم مرور على الصراط بقوله: "الصراط جسر منصوب علي جهنم ، وهو أدق من الشعر وأحد من السيف ، يمر الناس عليه علي قدر أعمالهم ، من كان مسارعا في الخيرات في الدنيا كان سريعا في المشي علي هذا الصراط ، ومن كان متباطئا، ومن كان قد خلط عملا صالحا وآخر سيئا ولم يعف الله عنه فإنه ربما يكدس في النار والعياذ بالله، يختلف الناس في المشي عليه ، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، ومنهم من يمشي ، ومنهم من يزحف ، ومنهم من يلقى في جهنم ، وهذا الصراط لا يمر عليه إلا المؤمنون فقط ، أما الكافرون فإنهم لا يمرون عليه، وذلك أنهم يساقون في عرصات القيامة إلى النار مباشرة".[٢]

وللباحث استدراك آخر على كلام الإمام ابن عاشور في هذا الموضع، حيث إن الإمام ابن عاشور استبعد أن يكون المراد بالورود هو

(١) يُنظَر: الأشقر، "القيامة الكبرى"، ص: ٢٧٥.

(٢) محمد بن صالح بن عثيمين، "شرح رياض الصالحين". (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦ هـ)، ١: ٤٧٠.

المرور، وحصر معنى الورود في آيات القرآن على أنه لا يأتي إلا معنى: المصير إلى النار، وقد قال نصًّا في ذلك: "فَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْوُرُودَ بِالْمُرُورِ الْمُجَرَّدِ دُونَ أَنْ يَمَسَّ الْمُؤْمِنِينَ أَذَىً، وَهَذَا بُعْدٌ عَنِ الِاسْتِعْمَالِ، فَإِنَّ الْوُرُودَ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ حُصُولُ مَا هُوَ مُودَعٌ فِي الْمَوْرِدِ لِأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ وُرُودِ الْحَوْضِ. وَفِي آيِ الْقُرْآنِ مَا جَاءَ إِلَّا لِمَعْنَى الْمَصِيرِ إِلَى النَّارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ٩٨، ٩٩] وَقَوْلُهُ ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود:٩٨] وَقَوْلُهُ ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مَرْيَم: ٨٦]، عَلَى أَنَّ إِيرَادَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى النَّارِ لَا جَدْوَى لَهُ فَيَكُونُ عَبَثًا".(١)

يقول الباحث: ما قول الإمام ابن عاشور في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [القصص:٢٣]؟.

هل الورود في هذه الآية معناه المصير إلى النار –حسب الحصر الذي نصَّ عليه الإمام ابن عاشور–؟!.

(١) ابن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ١٦: ١٥١.

كلا؛ الورود هنا معناه الوصول والبلوغ، ولا يمكن أن يكون معناه المصير إلى النار، ولا أن يكون بمعنى الدخول في الماء أو البئر، وفيما يلي طرف من أقوال أئمة التفسير في ذلك.

قال الإمام ابن عطية –رحمه الله–: "فمشى عليه السلام حتى ورد مَدْيَنَ: أي بلغها، وروده الماء: معناه بلغه؛ لا أنه دخل فيه، ولفظة «الورود» قد تكون بمعنى الدخول في المورود، وقد تكون بمعنى الإطلال عليه والبلوغ إليه وإن لم يدخل فيه، فورود موسى هذا الماء كان بالوصول إليه".(١)

وقال الإمام الرازي –رحمه الله–: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَسْقُونَ مِنْهُ وَكَانَ بِئْرًا فِيمَا رُوِيَ، وَوُرُودُهُ مَجِيئُهُ وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ".(٢)

من خلال ما سبق يتبيَّن أن الحصر الذي نصَّ عليه الإمام ابن عاشور في هذا الموضع –حصْر معنى الورود في القرآن على أن المراد به المصير إلى النار– غير صحيح وغير واقعي؛ والله أعلم.

(١) ابن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ٤: ٢٨٣.

(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٢٤: ٥٨٨؛ ويُنظَر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٦: ٢٢٦.

المطلب الرابع: تعيين طريقة خطاب الله لإبليس في قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري –رحمه الله– في حاشيته عند تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾[ص:٧٥]: "ذكر صاحب تفسير التحرير أن خطاب الله تعالى لإبليس بعد إبلاسه كان بواسطة ملك من الملائكة، معللاً ذلك بعدم أهلية إبليس بعد إبلاسه لذلك، لما فيه من الشرف والكمال، ولم أقف على من رأى هذا الرأي غيره، والله أعلم بصحته أو خطأه".(١)

وبالرجوع إلى ما ذكره الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية نجد أنه قال: "أَيْ خَاطَبَ اللَّهُ إِبْلِيسَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ حِينَئِذٍ كَانَ بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا اسْتَكْبَرَ قَدِ انْسَلَخَ عَنْ صِفَةِ الْمَلَكِيَّةِ فَلم يعد بعد أَهْلًا لِتَلَقِّي الْخِطَابِ مِنَ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَرْفَع رُتْبَةً مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٥١]، وَبِذَلِكَ تَكُونُ الْمُحَاوَرَةُ الْمَحْكِيَّةُ هُنَا بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ، فَيَكُونُ الِاخْتِصَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جَعْلِ ضمير ((يَخْتَصِمُونَ))

(١) الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ٤: ٤٦٣، هامش رقم (١).

[ص:٦٩] عَائِدًا إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى كَمَا تَقَدَّمَ".[(١)]

بعد عرض كلام الإمامين في هذا الموضع يظهر أن الشيخ الجزائري قد استدرك على الإمام ابن عاشور تفرُّده بالقول إن خطاب الله تعالى لإبليس بعد إبلاسه كان بواسطة ملك من الملائكة؛ ولم يكن مباشرة، ونصَّ الشيخ الجزائري على أنه لم يجد مفسرًا قال بذلك غير الإمام ابن عاشور، وتوقَّف في الجزم بصحة أو خطأ هذا التفرُّد للإمام ابن عاشور.

وبرجوع الباحث إلى كتب أئمة التفسير لدراسة هذه المسألة تبيَّن واقعية ما قاله الشيخ الجزائري في تعليقه على كلام الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية من تفرُّده بهذا القول.

بالفعل؛ مَن تعرَّض لهذه المسألة في تفسيره من أئمة التفسير نصَّ على أن الظاهر أن المحاورات التي ذكرها القرآن الكريم بين الله تعالى وإبليس كانت مباشرةً وبدون واسطة، وأن الخطاب المباشر ليس دليلًا على التكريم والتشريف في كل الأحوال؛ بل واردٌ أن يكون الخطاب مباشرًا وبدون واسطة لكنه على سبيل الإهانة والتحقير.

قال الإمام الرازي –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ

(١) ابن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ٢٣: ٣٠٢.

بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١]: "دَلَّتِ الْمُنَاظَرَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ إِبْلِيسَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَ إِبْلِيسَ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، فَذَلِكَ هَلْ يُسَمَّى وحيا من الله تعالى إلى إبليس أم لَا، الْأَظْهَرُ مَنْعُهُ، وَلَا بُدَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ بَحْثٍ غَامِضٍ كَامِلٍ".[(١)]

وقرَّر ما سبق وزاده تفصيلًا وتعليلًا الإمام البيضاوي عندما قال في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر:٣٦ -٣٧-٣٨]: "وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على منصب إبليس؛ لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال".[(٢)]

ووجهة نظر الباحث أن كلا القولين في هذه المسألة –كلام الله لإبليس بعد إبلاسه كان مباشرةً أو بواسطة– ليس عليه دليل من النصوص الشرعية؛ بل هي اجتهادات لأئمة التفسير، كلُّ قول من القولين له معقوليته؛ ووجاهته؛ وتعليله العقلي، ولا يستند أي قول من القولين لنص شرعي صريح في هذه المسألة.

وأيًّا كان الأمر؛ فإن مسألة: خطاب الله لإبليس بعد إبلاسه هل كان مباشرًا؟ أو: كان بواسطة؟؛ يرى الباحث أنها تدخل في باب "علم

(١) الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٢٧: ٦١٤.

(٢) البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، ٣: ٢١١.

لا ينفع وجهالة لا تضر" حسب طريقة الشيخ الجزائري ومصطلحاته في تفسيره وحاشيته في بعض المسائل.[١]

أو على حد تعبير شيخ المفسرين الإمام الطبري في بعض المسائل بقوله "وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب"[٢].

كما أن هذه المسألة لا تتضمَّن أولوية وخطورة تجعلها تحتاج إلى "بَحْثٍ غَامِضٍ كَامِلٍ"[٣]حسب قول الإمام الرازي؛ مع الاحترام والتقدير الكامِلَين للعلَّامة الإمام الرازي.

وقد توقَّف الباحث عند فهم قول الإمام الرازي "بَحْثٍ غَامِضٍ كَامِلٍ"؛ ليصل إلى معنى قوله "بَحْثٍ غَامِضٍ"، ولعلَّ قصْد الإمام الرازي من عبارته "بَحْثٍ غَامِضٍ" أي: بحث عميق موسَّع، والله أعلم.

(١) ورد هذا التعليق من الشيخ في عدة مواضع في حاشيته، يُنظَر على سبيل المثال: الجزائري، حاشية "نهر الخير على أيسر التفاسير"، ١: ٢٨٢، هامش رقم (٣).

(٢) الطبري، "جامع البيان في تأويل آي القرآن"، ٢٢: ١٢٥.

(٣) الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٢٧: ٦١٤.

الخاتِمَة

استعرض الباحث –بحوْل الله وقوَّته– في هذا البحث الاستدراكات التي أوردها الشيخ أبو بكر الجزائري في حاشيته "نهر الخير على أيسر التفاسير" على الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور في عدد من المواضع في تفسيريهما.

وقدْ ظَهَرتْ للباحث –بفضل الله– مِن خلال هذا البحث العديد من النتائج والتوصيات؛ أَعْرِض أهمَّها وأبرزها فيما يلي:

أولًا: أهمُّ نتَائج البحث:

١– اشتمال حاشية الشيخ أبي بكر الجزائري على كثير من الاستدراكات على عدد من أئمة التفسير وأعلامه، من أبرزهم: الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور –رحمهما الله–.

٢– نُدرَة الدراسات والبحوث عن تفسير الشيخ الجزائري "أيسر التفاسير"؛ وحاشيته "نهر الخير"، مما يعني أن تفسير الشيخ وحاشيته ما زال كل واحد منهما بِكْرًا، وفيهما مجال خصيب لعموم الباحثين والمتخصصين.

٣– صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في بيان المراد بـ (الرب) في قوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ ، ورجحان ما ذهب إليه الشيخ الجزائري –والأئمة قبله– من كون المخاطَب في قوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ هو

الله تبارك وتعالى.

٤- صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في إيراده الإسرائيليات في قوله تعالى ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّٰرِينَ﴾، لاشتمالها على التهاويل والخرافات الباطلة المردودة نقلًا وعقلًا.

٥- **عدم واقعية استدراك الشيخ الجزائري** على الإمام القرطبي في تحديد مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، لأن أكثر المفسرين ذهبوا إلى ما قاله الإمام القرطبي من كون الضمير في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ عائدًا إلى فرعون وقومه، وتردُّد كلام الشيخ الجزائري في هذا الموضع.

٦- صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في تأويله صفة (القَدَم) عند تفسير قوله تعالى ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾، وحِرْص الشيخ الجزائري على تقرير عقيدة السلف في الإيمان بأسماء الله وصفاته بلا تأويل ولا تعطيل؛ ولا تكييف ولا تحريف.

٧- صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في تأويله صفة (المعيَّة) في قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾،

وحِرْص الشيخ الجزائري على تقرير عقيدة السلف في بيان معيَّة الله لخلقه، وحِرْصه كذلك على إيراد الردود المنطقية المقنعة.

٨- صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي في تحديد حال أَخَوَيْ أم كلثوم بنت عقبة بمناسبة تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ ، وتصويب أن أَخَوَيْها قد وفدا على النبي يطالبان بردِّ أختهما، ولم يكونا مهاجِرَيْن.

٩- **عدم واقعية استدراك الشيخ الجزائري** على الإمام ابن عاشور في تعيين القائل في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، وتقرير عدم مخالفة الإمام ابن عاشور جمهور المفسرين في هذا الموضع.

١٠- صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام ابن عاشور في مسألة ورود المؤمنين جهنم في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فيما يتعلَّق بما عليه عموم المفسرين وجمهورهم في تفسير هذه الآية، وترجيح الباحث لقول ثالث خلاف قَوْلَيْ الإمام ابن عاشور والشيخ الجزائري، مفاد هذا القول أنَّ الخطاب في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خاصٌّ بالموحِّدين، أتباع الرسل والأنبياء، من أمَّة النبي والأمم السابقة.

١١- استدراك الباحث على الإمام ابن عاشور تنصيصه على حَصْر

معنى "الورود" في آيات القرآن بأن معناه حصرًا: المصير إلى النار، وإيراد الباحث لآية تنفي هذا الحصر.

١٢- صحة وواقعية استدراك الشيخ الجزائري على الإمام ابن عاشور في تعيين طريقة خطاب الله لإبليس في قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾.

١٣- تنوُّع موضوعات الاستدراكات التي أوردها الشيخ الجزائري على الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور، حيث دارتْ بين تعيين المراد؛ وإيراد الإسرائيليات؛ وبيان مرجع الضمائر؛ ومسائل في الاعتقاد؛ ومسائل في السيرة والتاريخ، وهذا يدل على الاطلاع الواسع للشيخ الجزائري –رحمه الله–.

١٤- غالبية الاستدراكات الواردة في هذا البحث كانت واقعية وصحيحة، حيث بلغ عدد الاستدراكات في هذا البحث (١٢) استدراكًا، كان منها عدد (١٠) استدراكات صحيحة وواقعية، ولم تنتفِ الصحة والواقعية في الاستدراكات –في نظر الباحث– إلا في موضعين فقط.

وهذا يدل على أهمية الدراسة التحليلية النقدية الموازِنة لكتب التفاسير، مع التقدير الكامل والاحترام البالغ لأئمة الأمة وأعلامها؛ إذْ لا عصمة إلا للنبي المعصوم –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم–.

١٥- عدم وجود مصطلح مُعيّن محدَّد يُعبِّر به الشيخ الجزائري عن استدراكاته، بل يعبِّر عن استدراكاته بطرق مختلفة، تارة: بالتصريح بخطأ قول المستدْرَك عليه، وتارة: بالتنصيص على مخالفة المستدرَك عليه لجمهور المفسرين، وتارة: بالتنصيص على

أن قول المستدرَك عليه لم يقل به أحد من المفسرين، وتارة: بالتدليل والتقرير للقول الذي يخالِف قولَ المستدرَك عليه.

ثانيًا: أبرز التوصيات (المقترحات):

١- يقترح الباحث التوجُّه إلى تكثيف الدراسات والبحوث الأكاديمية في التفاسير المختصرة والميسرة؛ المتقدِّمة منها والمعاصرة.

٢- يُوصي الباحث بتشجيع المتخصصين والباحثين وطلاب الدراسات العليا على دراسة تفسير الشيخ الجزائري "أيسر التفاسير" ودراسة حاشيته "نهر الخير" دراسة تفصيلية، وكتابة البحوث في ترجيحاته؛ واستدراكاته؛ وغير ذلك من حقول الدراسات القرآنية والتفسيرية.

هذا آخر ما تَيسَّر لي إثباته في هذا البحث، فإنْ كان مِن توفيق فهذا فضلُ الله ومَنُّه وحده، وإنْ كانت الأُخرى فأسألُ اللهَ العفو والغفران، **ولله درُّ الإمام ابن القيّم – رحمه الله – عندما قال:** (فلَكَ أيها القاريء صَفْوُه، ولمؤلِّفه كَدَرُه، وهو الذي تجشَّم غراسه وتعبَه؛ ولكَ ثَمَرُه، وها هو قد استهدف لسهام الراشقين، واستعذر إلى الله من الزلل والخطأ ثم إلى عباده المؤمنين).[(١)]

وآخرُ دعوَانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العَالمِين

(١) محمد بن أبي بكر بن القيّم، "مفتاح دار السعادة". (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١ : ٤٧ .

المصادر والمراجع

أولًا: المراجع المطبوعة:

القرآن الكريم.

الأشقر، عمر بن سليمان. "القيامة الكبرى". (ط٦، عمان: دار النفائس، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

الألوسي، محمود بن عبد الله. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق علي عبد الباري عطية. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل. "صحيح الإمام البخاري"، تحقيق مصطفى البغا. (ط٣، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ).

البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

البيضاوي، عبد الله بن عمر. "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ).

البيهقي، أحمد بن الحسين. "الأسماء والصفات". تحقيق عبد الرحمن عميرة. (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٧ هـ).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "مجموع الفتاوى". تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

الجزائري، جابر بن موسى. "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير)". (ط٥، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. "زاد المسير في علم التفسير". تحقيق عبد الرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).

الجوهري، إسماعيل بن حماد. "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

ابن حجر، أحمد بن علي. "الإصابة في تمييز الصحابة". تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ).

الخازن، علي بن محمد. "لباب التأويل في معاني التنزيل". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ).

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق . "كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجل". تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان. (ط٥، الرياض: دار الرشد، ١٤١٤ – ١٩٩٤).

الداودي، محمد بن علي. "طبقات المفسرين". (بيروت: دار الكتب العلمية).

الذهبي، محمد بن أحمد. "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام".

تحقيق عمر عبد السلام تدمري. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

الذهبي، محمد بن أحمد. "سير أعلام النبلاء". (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

الرازي، محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. "التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار". (ط١، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩٩هـ).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج". (ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨ هـ).

الزركلي، محمود بن محمد. "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م).

الزهراني، نايف بن سعيد. "استدراكات السلف في التفسير خلال القرون الثلاثة الأولى". دراسة نقدية مقارنة. (ط١، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٣٠).

أبو زهرة، محمد بن أحمد. "زهرة التفاسير". (دار الفكر العربي).

السرخسي، محمد بن أحمد. "المبسوط". (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (ط١، مؤسسة

الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).

أبو السعود، محمد بن محمد." إرشاد العقل السليم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

السفاريني، محمد بن أحمد. "لوامع الأنوار البهية". (ط٢، دمشق: مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الدر المنثور". (بيروت: دار الفكر).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م).

أبو شُهبة، محمد بن محمد. "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير". (ط٤، مكتبة السنة).

الشوكاني، محمد بن علي. "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ).

الصفدي، خليل بن أيبك. "الوافي بالوفيات". تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

الطباع، إياد خالد. "محمد الطَّاهر بن عاشور علَّامة الفِقه وأُصوله والتَّفسير وعُلومه". (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).

الطبري، محمد بن جرير. "التبصير في معالم الدين". تحقيق علي بن عبد العزيز بن علي الشبل. (ط١، دار العاصمة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م).

الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان في تأويل آي القرآن". تحقيق أحمد محمد شاكر. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". (ط١، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد". تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. (الرباط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية– المغرب، ١٣٨٧ هـ).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. "الاستيعاب في معرفة الأصحاب". تحقيق علي محمد البجاوي. (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م).

ابن عثيمين، محمد بن صالح. "شرح رياض الصالحين". (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ).

ابن عثيمين، محمد بن صالح. "شرح العقيدة الواسطية". (ط٦، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ).

ابن عثيمين، محمد بن صالح. "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه

الحسنى". (ط٣، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

ابن عثيمين، محمد بن صالح. "مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين". (دار الوطن– دار الثريا، ١٤١٣هـ).

ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين. "شرح العقيدة الطحاوية". تحقيق أحمد شاكر. (ط١، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ).

عضيمة، محمد عبد الخالق. "دراسات لأسلوب القرآن الكريم". (القاهرة: دار الحديث).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ).

ابن فرحون، إبراهيم بن علي. "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب". تحقيق وتعليق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور. (القاهرة: دار التراث للطبع والنشر).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. "القاموس المحيط". تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م).

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. "محاسن التأويل". تحقيق محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨

هـ).

القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).

القِنَّوجي، محمد صديق خان. "فتح البيان في مقاصد القرآن". (بيروت: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنشْر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "مفتاح دار السعادة". (بيروت: دار الكتب العلمية).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "المنار المنيف في الصحيح والضعيف". تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. (ط١، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "البداية والنهاية". (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "تفسير القرآن العظيم". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩ هـ).

مذكور، أحمد بن محمد قاسم. "استدراكات ابن عاشور على الرازي والبيضاوي وأبي حيان في تفسيره التحرير والتنوير- دراسة نظرية تطبيقية". رسالة دكتوراه. (السعودية: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م).

المراغي، أحمد بن مصطفى. "تفسير المراغي". (ط١، القاهرة: شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م).

مسلم، مسلم بن الحجاج. "صحيح الإمام مسلم". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (ط١، بيروت: دار التراث العربي، ١٤١٢هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٤، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ).

المقري، أحمد بن محمد. "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب". تحقيق إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م).

النسفي، عبد الله بن أحمد. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". (ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. "الموسوعة الفقهية الكويتية". (ط٢، الكويت: دار السلاسل، ١٤٢٧هـ).

Bibliography

The Noble Quran.

Al-Ashqar, Omar bun Sulayman. "Alqiyama Alkubra"a. (6th edition, Oman: Dar Alnafaess, 1415-1995).

Al-Alousi, Mahmoud bun Abdillah. "Rouh Alma'aani Fee Tafsir Alquran Al-Azeem wa saba'a Almathaani". Investigated by Abdulbari Atia. (1st edition, Beirut: Dar- Alkotob Alelmia, 1415).

Al-Bukhari, Muhammad bun Ismail. "Saheeh Al-Imam Albukhari". Investigated by Mustafa Albagha. (3rd edition, Beirut: Dar Ibn Kather, 1407).

Albaghawi, Alhusein bun Mas'oud. "Ma'aalim At-tanzeel". (1st edition, Beirut: Dar- Ehyaa A'torase Al arabi, 1420).

Albaidawi, Abdullah bin Omar." Anwar At-Tanzeel wa asraar at-Taweel". (1st edition. Beirut: Dar Ehyaa A'torath Alarabi, 1418).

Al-baihaqi, Ahmad bun Al-Hussein."Al-asmaa wa as-sifaat". Investigated by Abdurahman Omaira. (1st edition. Beirut: Dar Aljabal, 1417).

Ibn Taimiya, Ahmad bun Abdulhaleem. "Majmou' Alfataawaa". Investigated by Abdurahman bin Muhammad bin Qasim. (Almadina Almonawara: Majmaa Al Malik Fahd Letebaat Almoshaf A'sharief, 1416-1995).

Aljazaeri, Jabir bun Musa." Ayssarr At-tafaasir li kalaam Al-Ali Al-Kabir (Wa behamishi Nahr Al-khair alaa Aisarr At-tafaasir)". (5th edition. Almadina Almonawara: Maktabat Alolom Walhekam, 1424-2003).

Ibn Aljawzi, Abdurahman bin Ali. "Zaad Almaseer Fee Ilm At-Tafsir". Investigated by Abdurazak Almahdi. (1st edition, Beirut: Dar- Alketab Alarabi, 1422).

Aljawhari, Ismail bun Hamad. "As-sihaah Taaj Allugha

wa sihaah Alarabiya". Investigated by Ahmad Abdulghafour Attarr. (4th edition, Beirut: Dar Alelm Lelmalaeen, 1407-1987).

Ibn-Hajar, Ahmad bun Ali. "Al-Isaaba Fee Tamyeez As-Sahaaba." Investigated by Adil Ahmad Abdelmawgood and Ali Muhammad Moawad. (1st edition. Beirut: Dar Alkotob Alelmia, 1415).

Alkhaazin, Ali bin Muhammad. "Lubaab At-Taawel Fee Ma'aani At-Tanzeel". (1st edition, Beirut: Dar Alkutub Alelmia, 1415).

Ibn Khuzaimaa, Muhammad bun Ishaaq. "Kitaab At-Tawheed wa ithbaat Sifaat Ar-Rabb Aza wa jal". Investigated by Abdulaziz bin Ibrahim A'shahwan. (5th edition, A'reyad: Dar A'roshed, 1414-1994).

Ad-Dawoudi, Muhammad bun Ali. "Tabaqaat Almufasireen". (Beirut: Dar Alkotob Alelmia).

Ad-Zhahabi, Muhammad bun Ahmad. "Tarikh Al-Islam wa wafayaat Al- Mashaheer wa a'laalam". Investigated by Omar Abdusalam Tadmori. (1st edition. Beirut: Dar Alketab Alarabi, 140-1987).

Az-Zhahabi, Muhammad bun Ahmad. "Siyar A'lam An-Nubala". (Cairo: Dar Alhadeth, 1427-2006).

Ar-Raazi, Muhammad bun Omar. "Mafaateeh Alghaib". (3rd edition, Beirut: Dar- Ehyaa A'torase Al arabi, 1420).

Ibn Rajab, Abdurahman bin Ahmad. "At-Takhweef Min An-Naar wa At-t'areef be haali Daril bawaar". (1st edition. Damascus: Maktabat Dar Albian,1399).

Az-Zuhaili, Wahba bun Mustafa. "At-Tafseer Almuneer Fee Al-aqeeda Wa sharee'a Wal manhaj". (2nd edition. Damascus: Dar Alfekr Almoaser,1418).

Az-Zarkali, Mahmoud bun Muhammad."Al-a'laam". (15th edition. Beirut: Dar Alealm Lelmalaien, 2002).

Az-Zahraani, Nayf bun Sa'eed. "istidraakaat As-salaf Fee At-tafseer Khilaala Al quoron At-thalaatha Al-oula".

Critical Comparative study. (1st edition. Riyadh: Dar Ibn Aljawze, 1430).

Abu- Zahra, Muhammad bun Ahmad. "Zahrat At-tafaseer". (Dar Alfekr Alarabi).

As-Sarkhasi, Muhammad bun Ahmad. "Almabsout". (Beirut: Dar Almarefa, 1414-1993).

As-Sa'di, Abdurahman bin Nassir. "Tayseer Alkareem Ar-Rrahman Fee tafsirr Kalam Almannaan". Investigated by Abdulrahman bin Maala Aloyiheq. (1st edition, Mu'assasatur-Risalah, 1420-2000).

Abu-As-Sa'oud, Muhammad bun Muhammad. "Irshaad Al-aql As-Saleem". (Beirut: Dar- Ehyaa A'torase Al arabi).

As-Safaarini, Muhammad bun Ahmad. "Lawaame' Al-anwaar Albahiyah". (2nd edition, Damascus: Mu'assasatu- Alkhafiqin, 1402-1982).

As-Suyouti, Abdurahman bin Abibakr. "Ad-Durr Almanthour". (Beirut: Dar Alfekr).

As-Shinqeeti, Muhammad Al-Ameen bin Muhammad Al-Mukhtaar." Adwaa Albayaan Fee Idaah Al-Quran bil Quran." (Beirut: Dar Alfekr Leltebaa Wansher Watawzeaa, 1415-1995).

Abu-Shuhba, Muhammad bun Muhammad."Al-Israaeliyaat wa almawdou'aat Fe Kutub At-tafsirr". (4th edition. Maktabat A'sona).

As-Shawqaani, Muhammad bun Ali. "Fatthu Alqadeer". (1st edition, Damascus: Dar Ibn Kather, 1414).

As-Safadi, Khalil bun Ibak. "Al wafee bil wafayaat". Investigated by Ahmad Al-Arna'out and Turki Mostafa. (Beirut: Dar- Ehyaa A'torase Al arabi, 2000-1420).

At-Tabaaa', Iyad Khalid. "Muhammad At-Tahir bun Ashoor Alaamat Alfiqh Wa ousoulihi wa at-tafsirr wa ouloumih". (1st edition, Damascus: Alqalam, 1426-

2005).

At-Tabari, Muhammad bun Jarir. "At-Tabseer Fee Ma'aalim Ad-Deen". Investigated by Ali bin Abdulazez bin Ali A'shibl. (1st edition. Dar Alasema, 1416-1996).

At-Tabari, Muhammed biun Jarir. "Jami' Albayaan An Taweel Ayi Al-Quran". Investigated by Ahmad Muhammad Shaker. (1st edition, Mu'assasatur-Risalah, 1420-2000).

Ibn Ashour, Muhammad At-Tahir bun Muhammad. "Tahrir Alma'naa As-Sadeed Wa tanweer Al-aql Aljadeed min Tafsirr Alkitaab Almajeed". (1st edition. Beirut: Mu'assasat A'tareekh Alarabi, 1420-2000).

Ibn Abdul Barr, Yousuf bun Abdillah. "At-Tamheed Limaa Fil mouwatta min Alma'aani Wal asaneed". Investigated by Mustafa bin Ahmad Alalawi, and Muhammed Abdilkabeer Albakri. (Rabat: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs- Morocco,1387).

Ibn Abdul Barr, Yousouf bun Abdillah. "Al-isti'aab Fee Ma'rifat Al-ashaab". Investigated by Ali Muhammad Albgawii. (1st edition. Beirut: Dar Aljabal, 1412-1992).

Ibn Outhaimeen, Muhammad bun Saleh. "Sharh Riyaad As-Saliheen". (A'Reyad: Dar Alwaten Lelnasher, 1426).

Ibn Outhaimeen, Muhammad bun Saleh." Sharh Al-aqeeda Alwaasitiya ". (6th edition, Riyadh: Dar Ibn Aljawzi, 1421).

Ibn Othaimeen, Muhammad bun Saleh. "Alqawa'id Almuthlaa Fee Sifaati Allah wa asmaaehi Alhusnaa". (3rd edition, Almadina Almonawara: Aljameaa Alislamia, 1421-2001).

Ibn Outhaimeen, Muhammad bun Saleh. "Majmoo' Fataawaa Wa rasaaeil Sheikh Ibn Al-Outhaimeen". (Dar Alwaten- Dar A'thoria, 1413).

Ibn Abi Al-Izz Alhanafi, Muhammad bun Alaa Ad-Deen. "Sharh Al-aqeeda At-Tahaawiya". Investigated by Ahmad Shaker. (1st edition, A'Reyad: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, 1418).

Udaima, Muhammad Abdul Khaliq. "Diraasatun li Ousloub Al-Quran Alkareem". (Cairo: Dar Alhadeeth).

Ibn-Atiya, Abdulhaq bin Ghalib. "Almuhararr Alwajizz Fee Tafsir Alkitaab Al-aziz". Investigated by Adbusalam Abdushafi Muhammed. (1st edition, Beirut: Dar Alkotob Alelmia,1422).

Ibn Farhoun. Ibrahim bun Ali. "Ad-Dibaaj Almuzahab Fee Ma'rifat A'yaan Oulamaa Almazaahib". Investigated and commented by dr. Muhammad Al-Ahmadi Abo-Anoor. (Cairo: Dar A'torath L'tabii W'nashri).

Al-Fayrouzabaadi, Muhammad bun Yaaqoub. "Alqamous Almuheet". Investigated by Maktab Tahqeq A'turath Fe Mu'assasatur-Risalah directed by Muhammad Naaem Alirquososi. (8th edition, Beirut: Mu'assasatur-Risalah, 1426-2005).

Al-Qaasimi, Muhammad Jamal-Ad-Deen bin Muhammad. "Mahasin At-Taweel". Investigated by Muhammad Basel Oyoon-Isood. (1st edition, Beirut: Dar Alkotob Alelmia, 1418).

Al-Qurtubi, Muhammad bun Ahmad." Aljami' li ahkaam Al-Quran". Investigated by Ahmad Albardoni and Ibrahim Atfeesh. (2nd edition, Cairo: Dar Alkotob Almasria, 1384-1964).

Al-Qinawji, Muhammad Sedeeq Khan. "Fathu Albayaan Fee Maqaasid Al-Quran". (Beirut: Almaktaba Alasria Leltebaa Wanashr 1412-1992).

Ibn Al-Qayim, Muhammad bin Abibakr. "Miftaah Daar As-Sa'aada". (Beirut: Dar Alkotob Alelmia).

Ibn Al-Qayim, Muhammad bin Abibakr. "Almanaar

Almuneef Fee As-Sahih Wa Ad-Da'eef". Investigated by Abdulfatah Abo-Ghoda. (1st edition, Halab: Maktabat Almatboaat Alislamia, 1390-1970).

Ibn Kathir, Ismail bun Omar. "Albidaaya wa An-Nihaaya".(1st edition. Beirut: Dar Ehyaa A'torath Alarabi, 1408-1988).

Ibn Kathir, Ismail bun Omar."Tafseer Aq-Quran Al-Azeem". (1st edition. Beirut: Dar Alkotob Alelmia, 1419).

Mazkour, Ahmad bun Muhammad Qasim. "Istidraakaat Ibn Ashour Ala Ar-Raazi wal Baidaawi wa Abi Hayaan Fee tafsirihi At-tahrir wa at-tanwir- Applied theory study". Ph.D. (saudia: College Of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al Qura University, 1432-2011).

Al-Maraghi, Ahmad bun Mustafa. "Tafseer Al-Maraghi". (1st edition. Cairo: Sharekat Maktabat Wamatbaat Mustafa Albabi Alhalabi Waawladoh, 1365-1946).

Muslim, Muslim bun Alhajaaj. "Sahih Al-Imam Muslim". Investigated by: Muhammad Fouad Abdulbaqi. (1st edition, Beirut: Dar Atorath Alarabi, 1412).

Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram. "Lesan Alarab". (4th edition, Beirut: Dar Alfeker, 1414).

Al-Maqri, Ahmad bun Muhammad. "Nafhu At-Teeb min Ghusni Al-Andalus Ar-Rateeb". Investigated by Ihsaan Abass. (1st edition, Beirut: Dar sader, 1968).

An-Nasafi, Abdullah bin Ahmad. "Madaarik At-Tanzeel wa haqaaiq At-Taweel". (1st edition, Beirut: Dar Alkalem A'taieb, 1419-1998).

Ministry of Awqaf and Islamic Affairs. "Almawsoaa Alfqhia Alkwitia". (2nd Kwait: Dar A'salasel, 1427)..

The contents of the issue

No.	The research	The page
1)	**Rules of stops and beginnings (in recitation of the Quran) from the book "Al-Muktafaa Fi Al-Waqf Wa Al-Ibtidaa'' by Al-Imam Abi Amr Ad-Daany (Died 444AH). Compilation ،composition of sentences and illustrations** Dr. Ibrahim Bin Muhammad As-Sultan	9
2)	**The rectifications of sheikh Abubakr Al-Jazaaeri (d:1439AH) in his footnote "Nhr Al-khair" on both Imams Al-Qurtubi (d:671h) and Ibn-Ashour (d:1393AH) – an analytical study** Dr. Hatim Muhammad Mansour Mazrou'ah	55
3)	**Method of interpreting the Quran by Imam Albani - An analytical ،inductive and critical study** Dr. Muhtaba Mahmoud Okleh bani kenana	167
4)	**A Comparison between the volume one of ''Tabaqaat al-Mufasireen'' by Ad-Daoudi and the corresponding topics from ''Tabaqaat al-Mufasireen'' by Al-Adrani** Zahra Bint Obaidullah bin Uwayid Al Ghamidi	363
5)	**Interpretation of the Quranic text between approximation and investigation And its effect in raising dispute between the interpreters** Prof. Muhammad bun Salim bun Muhammad Al-Baidaani Az-Zahraani	511
6)	**The divine care and protection in surat al-hijr** Dr. Awatif Amin Yousuf Albesaty	581

Publication Rules at the Journal (*)

- The research should be new and must have not been published before.
- It should be genuine, innovative and informative.
- It should not been excerpted from a previous published works of the researcher.
- It should comply with the standard academic research rules and its methodology.
- It should include the following:
  - Title page in Arabic.
  - Title page in English.
  - An abstract in Arabic.
  - An abstract in English.
  - Introduction.
  - Body of the research.
  - A conclusion that includes the research findings and recommendations.
  - Bibliography in Arabic.
  - Transliteration of Arabic bibliography in Latin alphabet on a separate list.
  - Necessary appendices (if any).
- If the research is published in paper form (hardcopy), the researcher will be given one free copy of the journal's issue in which his work was published and (10) copies excerpted from his research paper.
- In case the research is approved for publication, the journal assumes all of its copyrights and reserves the right to republish it in a hard or soft copy, and it also have the right to include it in a local and global databases with or without compensation, and without having to obtain the researcher's permission.
- The researcher shall not republish his research which has been accepted for publication in the journal in any other publishing channel without a prior written permission from the editor-in-chief.
- The style of documentation adopted in the journal is Chicago style.

(*) These general rules are explained in detail in the journal's website: http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

The Editorial Board

Prof. Dr. Amin bun A'ish Al–Muzaini
(editor)
A professor of Quranic science and its interpretation at Islamic University

Prof. Dr. Abdullah bun Julaidaan Az–Zufairi
A professor of Aqidah at Islamic University

Prof. Dr. Hafiz bun Muhammad Al–Hakami
A professor of Hadith Sciences at Islamic University

Prof. Dr. Muhammad Sa'd bun Ahmad Al–Youbi
A professor of Fundamentals of Fiqh at Islamic University

Prof. Dr. Ahmad bun Muhammad Ar–Rufaa'i
A professor of Fiqh at Islamic University

Prof. Dr. Abdu Raheem bun Abdillah As–Shinqiti
A professor of Quranic recitations at Islamic University

Prof. Dr. Ali bun Sulaiman Al–Ubaid
A former professor of Quranic science and its interpretation at Imam Muhammad bun Saud's University

Prof. Dr. Mubarak Muhammad Ahmad Rahmat
A professor of Quranic studies at Ummu Darrman Islamic University

Prof. Dr. Muhammad bun Khalid Abdil Azeez Mansour
A professor of Fiqh and its fundaments at Jordanian and Kuwait University

***

Editorial Secretary: **Khalid bun Sa'd Al–Ghamidi**
Publishing department: **Omar bun Hasan al–abdali**

The consulting board

Prof.dr. Sa'd bun Turki Al–Khathlan
A former member of the high scholars

His highness Prince Dr. Sa'oud bun Salman bun Muhammad A'la Sa'oud
Associate professor of Aqidah at King Sa'oud University

His excellency Prof. dr. Yusuff bun Muhammad bun Sa'eed
Vice minister of Islamic affairs

Prof.dr. A'yaad bun Naami As–Salami
The editor –in- chief of Islamic Research's Journal

Prof.dr. Abdul Hadi bun Abdillah Hamitu
A professor of higher education in Morocco

Prof.dr. Musa'id bun Suleiman At–Tayyarr
Professor of Quranic Interpretation at King Saud's University

Prof. dr. Ghanim Qadouri Al–hamad
Professor at the college of education at Tikrit University

Prof. dr. Mubarak bun Yusuf Al–Hajiri
former Chancellor of the college of sharia at Kuwait University

Prof. dr. Zain Al–A'bideen bilaa Furaij
A professor of higher education at Al–Hassan the second's University

Prof. dr. Falih Muhammad As–Shageer
A professor of Hadith at Imam bun Saud's University

Prof. dr. Hamad bun Abdil Muhsin At–Tuwaijiri
A professor of Aqeedah at Imam Muhammad bun Saud's University

Prof. dr. Abdul Azeez bun Abdurrahman Ar–Rabee'a
Professor of compared Fiqh at the higher school for Judiciary

Paper version

Filed at the King Fahd National Library No. 8736/1439 and the date of 17/09/1439 AH

International serial number of periodicals (ISSN) 7898-1658

Online version

Filed at the King Fahd National Library No. 8738/1439 and the date of 17/09/1439 AH

International Serial Number of Periodicals (ISSN) 7901-1658

the journal's website

http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

The papers are sent with the name of the Editor - in – Chief of the Journal to this E-mail address Es.journalils@iu.edu.sa

(The views expressed in the published papers reflect the views of the researchers only, and do not necessarily reflect the opinion of the journal)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Islamic University Journal

of Islamic Legal Sciences

Vol : 189 part 1 Issue : 52 May 2019